٢٥ قرشا او ما يعادلها

فلسطين

ملحق المحرر العدد (٥٢٣) | الخميس ٨ نيسان ١٩٦٥ | فلسطين رقم ١٢

خطة دالت الصهيونية لاجتياح فلسطين

أول معلومات تنشر عنها

ص ٩٠٨

بقلم : وليد الخالدي





صورة من الأصل



المجدل

مع اطلالة كل عيد احد بعض عاربه من البطاقات ، اما كاتبه او قارئه ، فاذا احدى البطاقات بين الاصدقاء، و ... البطاقات ، فالكثير من ... لا ... عن ... الاسم والروح ، وهذان الاسان لم يكونا في يوم من الايام نافذه يرى منها المرء من احبه .

وفجأه وقع بصري على رساله هي اشبه ما تكون بالطرد ، وسمرت عيناي على الخط الدقيق ، وكاد الاسم يلمع في ذهني كلمح البصر لولا ان استبعدته فسنوات طويله قد باعدت بيني وبين نعمت ، فما الذي ذكرها بي الآن ؟

وارتجفت عندما رن في اذني كلمه "ذكرها بي" ... فانا لم انسها وان كانت ذكراها تغيب يوما لتعود اياما ..

وعاد شريط الذكريات يمر امام عيني سريعا متلاحقا ... ذكرت سباقنا بين دروب الناصره واصرارنا على المرور بكنيسه العذراء عصر كل يوم بعد خروجنا من المدرسه لنتبرد بجرعه ماء من بئرها المثلج ... صداقتنا مع راعي الكنيسه ، واصراري على حمل الزيت اليه مع كل موسم جديد ، وابتسامه ابي الواسعه وهو يسمعني اشترط على امي ان تملأ الطنجره الكبيره حتى الحافه ، وسيدبر العم علي القيسي طريقه حملها ، ورجائي الا يدع قطره تذهب هدرا . "الا تدري يا عم يو ... ان هذا زيت مقدس ! ."

ونظرت الي امي متسائله : لم لا تفتحين الطرد لترى ما فيه ؟..

واعادتني عباره الوالده الى الواقع وهرب الخيال الجميل ، وبانامل مرتجفة قطعت الخيط ونزعت الاوراق المغلفه فاذا بي امام رسالة سميكة ولفه صغيره .. ووضعت جانبا واسرعت لافتح الرساله ، وكانت من نعمت ...

لم تبدأ نعمت رسالتها بعبارات الشوق والحنين ... حدثتني وكاننا افترقنا البارحه لا منذ سبعه عشر عاما، عرفت ان لديها ولدين وبنتا ، من سياق الحديث عنهم .. ترى ما الذي دفعها الى الكتابة بعد هذه السنين الطويله وكيف عرفت عنواني ؟..

وكعهدي بنعمت التي لم تدع لي يوما فرصة للتساؤل قالت :

لم اسئلك وان كانت الايام قد وضعت شبه ستار بيننا ، وفجاه طلعت علي في محله قرانها عند الحلاق ورجوت ان اتصل بك عن هذا الطريق ، ولم احد الوقت او الدافع حتى كانت البارحه وقد بدات باعداد الزينه والاستعداد للعيد القريب . وحضرت صغيرتي رلا تشدني من طرف ثوبي ، ولما التفت اسأل ما بها طلبت مني الانحناء لتسر لي بامر هام .. وجلست القرفصاء امامها لاستمع الى المسكله التي حيرت الراس الصغير ، فاذا بها تتمتم : اريد ان ادعو زينب لتمضيه العيد معنا ، فهل استطيع ذلك ؟

وابتسمت مرحبه وقلت : ولم لا ؟؟ اهلا وسهلا بك وبها . وستقاسمتها الهديه .

وقطبت الصغيره حاجبيها وقالت : لكنه ليس عندها ما اماه فكيف نقدم لها هديه ؟..

وصدمتني العباره حتى نسيت طفلي ولم اسمع الى اسئلتها الملاحقه وتهالكت على مقعدي .. وفجاه رايتك تنتصبين امام عيني ولا ادري ما الذي جعلني استعيد ذكراك ، اهو بريق عينيك يوم اكتشفنا ان لكل منا عيدا يختلف عن عيد الاخرى ؟.. واشتد بنا النقاش في اي العيدين اكثر بهجه ومرحا ، وتمسكت كل منا برايها وعلا الصراخ حتى خرجت امي تسائل عن سبب الخلاف وجلست بيننا على عتبه الباب وطوقت كلا منا بذراع لتقول : الاعياد للجميع ..

وانتقلت الى صفحة جديده من الرساله السميكه واذا بالحبر المختلف ينبئ لي بانقطاع نعمت عن الكتابه يوما او بعض يوم وعودتها لتكملة شريط ذكرياتها ، قالت : في عشيه اليوم حضر الينا "عواد السبع" اتذكرين يوم هجم منفردا على الدبابه ببندقيه سريعة الطلقات ، ولما سالناه كيف يتهيب رصاص اليهود الكثير ، قهقه عاليا وقال : انه مثل شوكولاته لا بارودا .. وكيف وعدنا بان يفرغ جميع الرصاص ليشبعنا شوكولاته . حضر عواد وبيده قطعة من الورق ملفوفه بنفس الطريقة التي كان يلف لنا بها ابومحمد الشامي حبات البزر والفستق يوم نركض الى

دكانه حاملين نشم رائحه التحميص الذكيه... وحسبت انه يريد مداعبتي فاحضر لي بعضا منه ، ونظرت اليه ضاحكه ، لكنه لم يبادلني السخريه بل قدم لي الورقه باحترام يكاد يبلغ حد التقديس : انها تربه بلادنا احضرتها من الحدود يوم ذهبنا لزيارتها في الاسبوع الماضي ...

واصابتني العدوى فمددت يدي استلم اللفه دون ان افقه ما يقول ، وفتحها عواد ووقع نظري على ترابنا الاحمر البراق وقد ذهبت منه الحياه بذهاب اهله ، وعانقت بداي التربه الكريمه المعطاء ، التربه التي نشأنا عليها اخوه متحابين نقرع اجراسنا حزنا لتجاوب مع صوت المؤذن اذا ما مات اي من ابناء البلد الكريم ، ويفتح محمد باب بيته لتلقي العزاء في حنا ، وتلبس ماري السواد مشاركه لصديقتها خديجه في حزنها ، التربه الطيبه التي اطعمتنا خبزا مشتركا فلم نعرف الا اننا ابناء الناصرة ، نركض في ازقتها البلاطه لنذهب الى غنطوسه نخطف الشمع من غرفها عابثات ، او نجلس امام ام رجا في مطبخكم الكبير ننتظر الرقاق واصابع زينب الملئة بالزيت يوم عيد البربارة ، حتى طعام الاعياد اشتركنا فيه .

ومحت الدموع سخيه سطرين لتفتح نعمت صفحه جديده قائله :

وفي تلك اللحظه ذكرت عواد وود لو استطاع ان يرسل لك ذرات من تراب الوطن ، ولم اجد نفسي الا امام المكتب اخط الكلمات والف الذرات ...

فهل ستنظرين اليها كما عهدتك ام قد غيرتك احداث سبعة عشر عاما يا ترى ؟؟

ووضعت الرسالة ومددت يدي الى الذرات الجافة ، وتحولت هذه بسحر ساحر الى مرج احمر انتصب في احد جوانبه شيخ مهيب يحمل في يده منديلا كبيرا ، فرش المنديل على التراب وتناول حفنة وضعها فيه واحكم ربطها ثم دفعها الي قائلا : هذه هديتي اليك في العيد يا بنيه ، تراب التراب هذه ستتحول الى سنابل يثقلها القمح لتفيض علينا خيرات وبركه ، واكمل ابي . الارض يا بنيه رمز لكرامتنا ، فاذا فقدنا الارض فقدنا الكرامه ، عليها حرصك على الحياه .

وغابت الصوره لتحل محلها صوره الحياه بسامح واخوه .

فمع دقات اجراس العيد الاولى لنا مع "الهجان موعد ، فهو يحضر عكه" السمن وخراف العيد وينزل الوكيل الى "الحواصل" حيث يكيل القمح لنرسل الجميع هديه الى جيران اعزاء يحتفلون بالعيد . ونحمل الهدية الى الدير المجاور ، واناديي نعمت كي نرافقهم ، وتسلم الام الرئيسة هدايا الجار وربتت على راسنا ونصحبنا الى احدى الغرف كدابها كل عام كي تسلمنا هديه العيد ونخرج فرحات ليعلو صراخنا بعد لحظات اذا كانت هديه احدانا افضل من هدية الاخرى بعض الشيء . وهل انسى يوم اشتد الالم على والدي نتيجة احمرار في رجله اليمنى ، كيف حضرت الام تعوده وقد حملت زجاجة زيت مقدس ، صليت عليه ثلاث ليال واربعة ايام يا ابا ذيابه فادهن منه وستنال الشفاء باذن الله ويأخذ الوالد الزجاجة شاكرا ويلتفت الي حال مغادرتها قائلا : لقد اوصى الله باكرام الجار فكيف اذا كان الجار مثل هؤلاء اللواتي انقطعن لعبادته ووقفن انفسهن على خدمة عبادة ؟

تتساءلين يا نعمت لم لم ننشأ رلا على غرارك ؟.. وانساءل لم لم تنشأ مهى على غراري لقد فقدنا التربه فتفككت الرابطة التي كانت تجمع بيننا لم يعد صوت المؤذن يختلط بقرع الاجراس ، ولم يعد محمد يفتح بيته ليتقبل التعازي من حنا ، ولم تعد ماري تتشح بالسواد مشاركةلصديقتها خديجه في حزنها ... لكننا سنعود للتربة الطيبة يا نعمت .. التربة التي اطعمتنا خبزا مشتركا فلم نعرف الا اننا ابناء الناصرة نركض في ازقتها المبلطة ، نشرب الماء من بئر العذراء ، ونحمل مهى الزيت لراعي الكنيسة وندعو رلا زينب لتشاركها العيد ونقدم لها الهديه دون تفكير ؟... فالدين لله ، ونحن ابناء وطن واحد ، نتزع الشجر سوية ونزينه معا حيث نردد هللويا مع الله اكبر ، ويعانق الهلال الصليب في الوطن السليب .

تقع مدينة المجدل في القسم الجنوبي من فلسطين تابعة لمحافظة غزة ، تبعد عن غزة ٢١ كلم و ٤٠ كلم عن مدينة يافا جنوبا .

كان يقطنها اخر ايام الانتداب البريطاني حوالي عشرة الاف نسمة كلهم عرب .

● وقفت مدينة المجدل وقفة صامدة في مقاومة الاستعمار البريطاني والغزو الصهيوني وعند نشوب معارك ١٩٤٨ تعرضت المجدل بالذات لمعارك عنيفة وصمدت في وجه غزو القوات اليهودية التي حاولت منذ بداية المعارك الفلسطينية ان تستولي على المجدل لما لها من مركز استراتيجي .

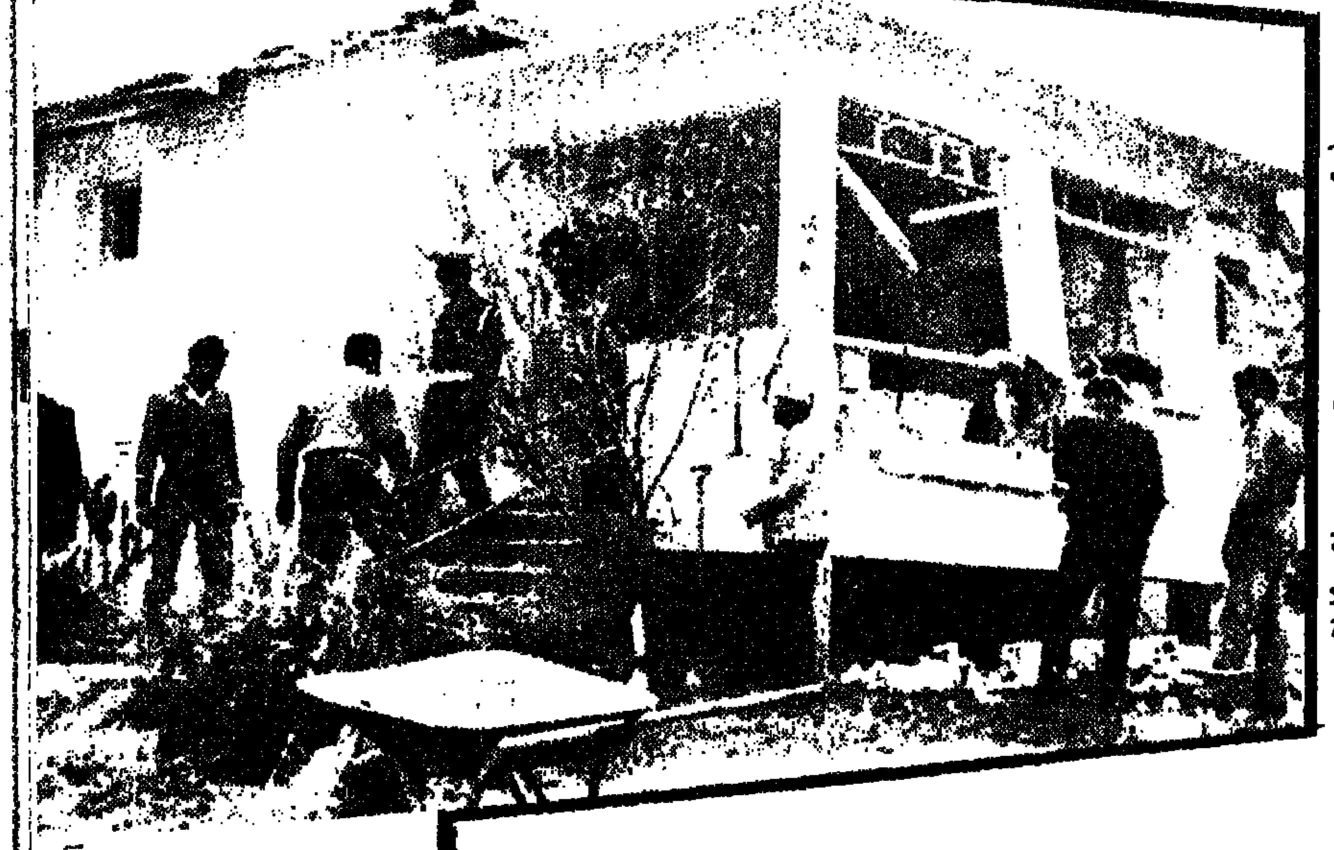
● قام اليهود بهجوم اولي من ناحية مستعمرة « غات » اليهودية تتقدمهم ١٢ دبابة فاخترقوا التحصينات الامامية لعراق المنشية ، الا ان المصريين اشتبكوا مع اليهود بالسلاح الابيض واندحر اليهود .

● وفي ١٦ اكتوبر اغارت الطائرات اليهودية على المجدل وجورة عسقلان والفالوجه وعراق المنشية وغزة وبئر السبع والعريش بقصد الارهاب ، وقابلهم المصريون بنيران مدافعهم ، فاسقطوا ست طائرات . واثناء القصف الجوي قام اليهود بشن هجوم بري على مفترق الطرق « طرق المجدل - الخليل » و « طريق غزة يافا » عند عراق سويدان وقد خسر العرب هذا الموقع في الليل .

● وفي ١٨ اكتوبر اعاد اليهود الكرة فاغارت اربع طائرات من ذوات الاربع محركات على القسم الغربي من مدينة المجدل فدمرته ، وفي المساء فقد اغارت نفس الطائرات على القسم الشرقي من المدينة وهدمت جانبا منه، وقد شاركت السفن اليهودية الراسية في البحر امام جورة عسقلان بقصف المجدل ظهرا .

ولم تنقطع غارات اليهود على المجدل من الجو في تلك الفترة وبعدها واشتدت غاراتهم في الاسبوع الاخير من اكتوبر والايام الاولى من شهر نوفمبر .

وهكذا سقطت مدينة المجدل في يد اليهود في اليوم الخامس من نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٤٨ .



اول صورة تنشر في الوطن العربي عن آخر هجوم قام به فدائيو العاصفة داخل الارض المحتلة حيث تمثل اماكن الانفجارات التي تمت في الارض المحتلة والتي تمثل الانفجار الرابع الذى وقع في مستعمرة كفار هس التي تبعد ميلين غربي حدود مدينة شارون ، وقد اعترفت المصادر الاسرائيلية بان هذا هو الحادث الرابع الذى وقع منذ ان بدأت العاصفة بالقيام بالاعمال الفدائية بالارض المحتلة . وقد قامت قوات العاصفة بوضع ثلاث شحنات من المتفجرات في مستعمرة كفار هس أدت الاولى والثانية الى نسف بيت ومزرعة ، اما الشحنة الثالثة فكانت خطيرة ادت الى هروب السكان . ويبدو في الصورة جانب من الدمار الذى احدثته الشحنة الثالثة .

ادعاءات اسرائيلية

بقلم خالد ابراهيم بعباع رئيس مكتب جامعة الدول العربية في جنوب الولايات المتحدة

استغل الصهيونيون ذريعة المساواة والتضامن فقالوا ان اسرائيل هي الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الاوسط ، وان ديمقراطية اسرائيل مشابهة لديمقراطية الولايات المتحده ، ولذلك ـ من بين الاسباب الاخرى ـ يتوجب على الاخيره مساندتها والدفاع عنها .

ويذهب الصهيونيون مذهبا آخر لاقناع شعب الولايات المتحده بضرورة تاييد اسرائيل والوقوف معها ضد اعدائها العرب ، وهذا الادعاء يقول بان اليهود جاءوا من فلسطين ارضا يانعة ، وبالتالي فهم احق بامتلاكها من العرب «المتاخرين» و «الكسالى» حتى ان الصهيونيين فعلا يصورون العرب الذين قطنوا فلسطين بان اغلبيتهم الساحقة من البدو الرحل الذين لم يستوطنوا الارض ولم يستثمروها .

حاسة الانسانية للاعجاب والفخر ، من اهم الحواس التي تؤثر في الانسان عندما تتمشى بطبيعه الحال مع ذريعه المساواة والتضامن . فاذا كان الامريكي يفخر بانه عمل جاهدا لازدهار بلاده ، فلا بد ان يقدر شعبا آخر قام بنفس العمل ولديه نفس الشعور بالفخر نتيجة لانجازاته الفعليه .

من هنا نرى ان الصهيونية في دعايتها تعمل دوما على اساس علمي واضح ، وبموجب مخطط مدروس ، وتستغل جميع العوامل في المجتمع المعين للوصول الى اهدافها ، واذا ما ذكرنا هنا ان الراي العام في الدول الديمقراطية له اكبر الاثر في تكوين السياسة الخارجية لمثل هذه الدول ، تبين لنا مدى الاثار العميقه الناتجة عن كسبه في هذه الدول ، خاصة وان الدعاية معترف بها كسلاح فعال من جملة الاسلحة الاخرى التي تستعملها الدول الواعية للوصول الى مصالحها والرفع من شان امتها .

ان اسرائيل بحد ذاتها هي مثل واضح ـ وربما كان صارخا ـ يقدمه المختصون في الدعاية والنشر لنجاح فكرة غير منطقية وغير عادلة ، وذلك بدعم هذه الفكرة بطرق علمية واعيه في ميادين مختلفة وانتهاز جميع الفرص والاحوال لانجاحها .

وبالرغم من وجود عوامل تاريخيه ودينيـة واجتماعية وسياسيه هنا بالاضافة الى الصهيونية التي تعمل جميعها جاهدة للحد من الدعاية العربية وانجاحها ، الا انه يوجد سبب منطقي [...]اع ، لعدم نجاح الدعايه العربيه ومقاومتها للعوامل العديدة ، التي تقف ضدها ، خاصة اذا ما صدقت العزيمه ووضح الهدف .

اقول هذا لا لانني ارغب في الابتعاد عن الموضوع المعين لهذا المقال ، ولكنني اود ان اكرر انه بالرغم من ان القضية الصهيونية مفتعله من اساسها وواهية ، الا ان الصهيونيين تمكنوا من اخراجها الى حيز الوجود ، واقناع الراي العام الامريكي بها حتى كاد يفهم بان ما تدعيه الصهيونيه هو كل الحقيقة ، وان اي رأي آخر حول موضوع اسرائيل وقضايا الشرق الاوسط الاخرى هو راى متطرف لا يستحق الالتفات اليه في كثير من الاحوال. الا ان الدعاية العربية [...] من اثبات وجودها في هذا الشأن ، وذلك باقناع الراي العام ان هناك وجهة نظر اخرى حول هذه المسائل المشابكه يجدر الاستماع اليها وتقديرها واعطاؤها فرصه التعبير عن نفسها في مجتمع يؤمن عاده بحرية الفكر وتعدد الاراء .

ولنعود الآن الى صلب موضوع البحث ، وهو ما تدعيه اسرائيل من تراث الانسانية ولان الاخيره تهب هذا الجزء لمن يستفيد منه اكثر ، ويجعل منه منطقة مزدهرة لفائدة البشرية جمعاء !

ان ادعاء الصهيونية هذا يستند على عدة فروض ، بعضها لا يخلو من بعض الحقيقه ، ولكن هذه الحقيقة وضعت بقالب وقدمت بشكل يجعل منها افتراء وبهتانا ، بعض الحقيقه ، هي ان اليهود تمكنوا من انعاش المنطقه التي كانوا يحتلونها قبيل الانتداب البريطاني على فلسطين والتي تبلغ ٢ في المئه فقط من مساحه فلسطين و ٧ في المئه عند انشاء اسرائيل عام ١٩٤٨ ، كما انهم تمكنوا من انعاش اسرائيل بعد احتلالها . الا ان الجزء الاخر من الحقيقه يقول بان العرب قاموا بمجهودات جباره لتقدم بلادهم وانشاء مختلف المشاريع التي اعترف لهم العالم اجمع بفعاليتها وخيرها ، بالرغم من العوامل الكثيرة التي تعمل في المنطقه وخارجها على عرقلة واعاقه التقدم . وهذا بطبيعه الحال غير موجود في اسرائيل . كما ان تقدم اسرائيل هو تقدم نسبي وكيفي وليس تقدم نوعي ، بالاضافه الى ذلك فان تقدم اسرائيل هو نتيجه طبيعيه لاسباب غير طبيعيه ، ولذا لا يمكن عزوه لتفوق اليهود الطبيعي على العرب ان اسباب تقدم اسرائيل غير الطبيعي يرجع للاسباب التاليه .

١ ـ ان كثيرا من اليهود الذين جاءوا الى اسرائيل قبل انشائها وبعده ، جاءوا من بلدان متقدمه حضاريا وثقافيا ولذا نجد اليوم في اسرائيل عددا كبيرا من الفنيين والخبراء لا يتناسب مع عدد الفنيين والخبراء في البلدان المتطوره ، اي ان اسرائيل نفسها لم تكلف شيئا ولم تعمل على خلق هذه الكميه من الخبراء ولكنهم وجدوا خارج اسرائيل ونزحوا اليها . هذا بالاضافه الا انه بينما كانت اسرائيل تتقدم بنتيجة لهذا العامل ، كانت البلاد العربية تستفيق من كابوس الحكم التركي الطويل وغيره من استعمار بريطاني وفرنسي وايطالي .

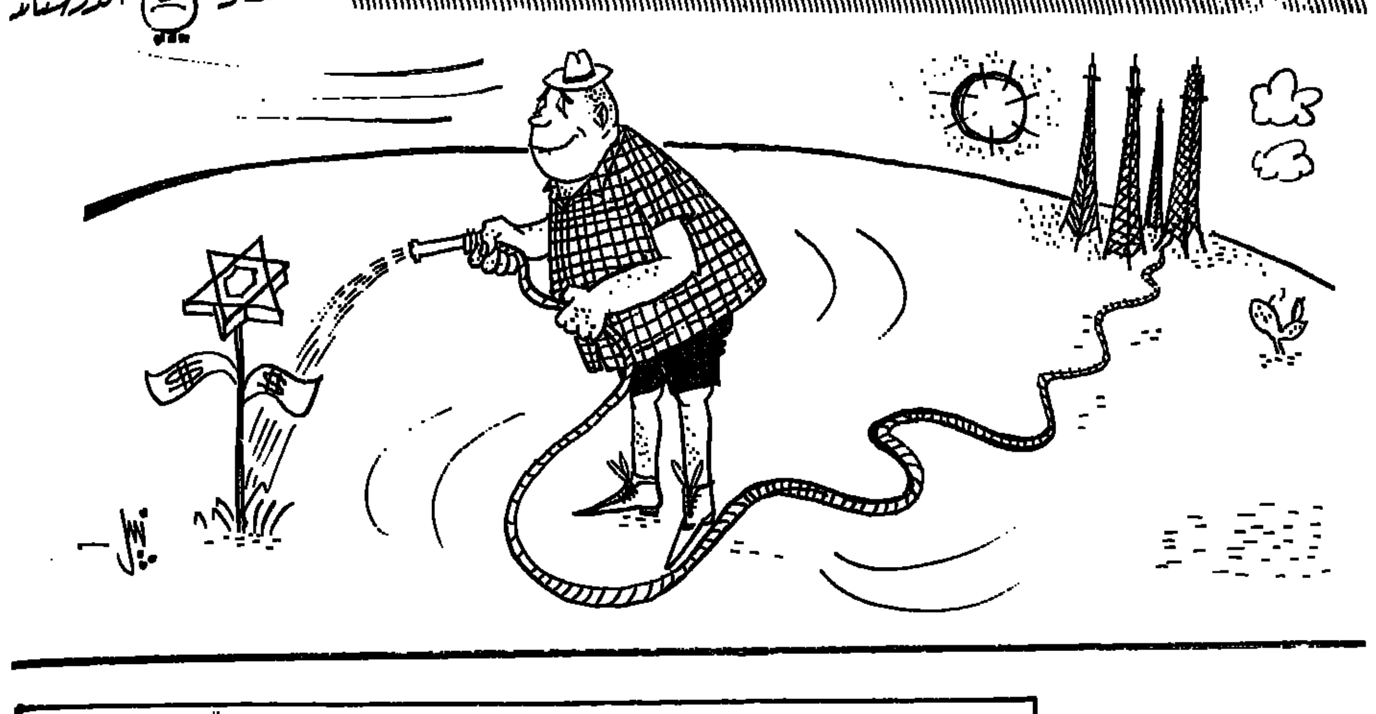
٢ ـ تعد حصانة اسرائيل منذ انشائها حتى الان على حوالي ثلاثة بلايين دولار من امريكا وحدها باستثناء التعويضات الالمانية والمنح والهبات والمساعدات الاخرى من دول عدة . وهذه المبالغ الباهظه التي لم تحصل عليها اسرائيل مقابل صادرات اسرائيلية او ناتج اسرائيلي ، وانما اضعف هذه المبالغ الطائلة كهبات لتنشيط ، بل لخلق اقتصاد اسرائيل المعطل ، وان اي تقدم اقتصادي في اسرائيل سببه الرئيسي هذه الهبات ، وليس اجتهاد اليهود وكدهم . ولذا يمكن القول بحق انه اذا كانت اسرائيل قد قدمت المنطقه المحتله اكثر مما عمل العرب على ازدهار اقطارهم ، ففي رايي ان ذلك يرجع الى الاسباب الانفه الذكر . فاذا ما امعنا هذين العاملين من الاقتصاد الاسرائيلي فالنتيجه الحتميه تكون ، ان العرب تقدموا اقتصاديا اكثر من اسرائيل . الا ان اسرائيل تمكنت من اقناع العالم وخاصه الولايات المتحده بتقدمها وازدهارها ، ولم يتمكن العرب بنشر الصهيونيه بشكل خاص على وسائل الدعايه ، من ابراز حقيقه تقدمهم .

ان احسن ما تقدم بذكري بما كتبه الدكتور الحاخام المر برجر وهو نفسه يهودي امريكي ورئيس المجلس اليهودي الامريكي المناوئ للصهيونيه ، في كتاب نشره بعد زيارته لاسرائيل وبعض البلدان العربيه عام ١٩٥٥ بعنوان « الذى يعرف اكثر يجب ان يقول ذلك » . لقد اورد الدكتور برجر في كتابه في الصفحات (١٠٢ ـ ١٠٤) ما نصه بالحرف الواحد . اود ان اقول بوضوح تام انني رايت الصحراء اليانعه والمدن الحديثه ومشاريع الري والمجاري وكل ما تدعيه الصهيونيه في امريكا من هذا القبيل ، ولكني اقولها بصراحه ان جميع هذه المشاريع يوجد اضخم منها في البلدان العربيه ، ان هذه الحقيقة لا تقلل من اهميه الوجود في اسرائيل ولكنها تكذب الافتراء الصهيوني الاسرائيلي بان اسرائيل هي الاصل الوحيد في الشرق الاوسط .

٣ ـ ان اهميه الانجازات الاسرائيلية يمكن الاقلال من اهميتها جدا ، اذا ما عرف ان اسرائيل هي معهد عطاء وصدقه اكثر من اي دولـه حيث راسمالها تكون من صدقات وهبات من الولايات المتحده والنداء اليهودي الموحد والتعويضات الالمانيه والسندات وراس مال مستثمر على اساس عاطفي اكثر منه اقتصادي ، ومع كل ذلك فهذه المبالغ الطائلة غير كافيه فيه ، اذ ان ميزان الدفع التجاري ما زال مهلهلا والبضائع الاستهلاكيه التي يتمكن اليهودي الحصول عليها ما زالت من نوع رديء .

ذكرت الصحف الاسرائيلية أن الكيبوت كابيجت شقت طريقين على الحدود ؛ احداهما شمال البحر الميت حتى [illegible] والثانية جنوبها من قرية [illegible] حتى مستعمرة نحوشا على حدود منطقة بيت جبرين . وطول هذين الطريقين [illegible] كيلومترا ، ويستهدف شقهما انشاء [illegible] مستعمرة حول البحر الميت ، علاوة على [illegible] مستعمرات ضمن مجموع المستعمرات التي اقيمت في هذه المنطقة قبل ايام [illegible] القاسية .

هكذا من الأصل



رأي حر

هل نحن بحاجة ماسة الى اذاعه خاصه بفلسطين ؟..

افتتحت منظمة التحرير الفلسطينيه الاذاعه باسم اذاعة فلسطين « صوت منظمه التحرير الفلسطينية » من القاهرة في الاول من شهر اذار ١٩٦٥ . وقد كنا ننتظر ان نسمع الكثير الكثير من برامج متنوعه اعدت خصيصا وسبغا لتعمل بثقلها النوعي والكمي عبر اثير تلك الاذاعة . وقد استمعناها اياما واياما الا ان النتيجه ولسوء الحظ كانت عباره عن موالات شعبية فلسطينية وبين الفينة والفينه يخرج المذيع لاكثر من مرة ويصرخ صوت فلسطين الخ...

فالسؤال الذي يطرح نفسه الان ما القصد من مثل هذا الاذاعه ؟ ولماذا وجدت ؟ وعلى اى اساس خطط لها في الماضي والحاضر والمستقبل ؟.

وهل وجدت لنسمع عتابا وميجانا فقط ؟ ام هل وجدت لهدف آخر هو هم كل فلسطيني وعربي .. في رأيي وجدت لتساهم في خلق الابداع الفكري الثوري عند هذا الانسان الذي فقد وطنه ، ووجدت لتساعده في التصدي لمؤسسه المقبله في التحرير ووجدت لتعده امام مسؤولياته في التحدي الكبير يوم ان نزحف مع جموع المشردين الى تحرير ارضه من الغاصبين ، ووجدت لتعطي صورة سليمة للانسان العادي عن حق الشعب العربي في فلسطين ، ووجدت لاكثر من هذا يا منظمة التحرير ، فاين اذاعتكم من هذا كله ! لقد عملنا سابقا ولا نزال نعمل على سماع ركن فلسطين من صوت العرب ، فاين هذا من تلك ، فروقات شاسعه في البرامج .

نحن نعلم انه خصصت مبالغ ضخمه من المال كميزانيه للاذاعه فعلى حساب من ولمن نصرف كل هذه المبالغ يا منظمة التحرير وهل هذه البرامج تساوي تلك المصاريف الباهظه مع العلم ان هنالك مشاريع اخرى تستحق الاهميه بقدر اوفر من مثل هذه الاذاعه فعلى سبيل المثال ما رايكم لو استعملنا هذه المبالغ في افتتاح مكاتب ثقافية للدعايه في اوروبا وافريقيا والامريكتين وتفريغ اشخاص مؤهلين لسد الفراغ الدعاوي في الاماكن المذكورة . او على الاقل وهذا اضعف الايمان ايجاد النشرات والكراسات والكتب والمجلات الدعاويه للقضيه الفلسطينيه ففي اعتقادي ان هذا افضل الف مرة من ان نظل نستمع الى دلعونا ...

فما رايكم يا قادة منظمة التحرير ؟

بيروت ـ رافت

* * *

البريد

● في بريد اليوم قصائد واناشيد تعبر عن الثوره المتأججة في نفوس مرسليها وكلهم عزم وايمان بتحرير فلسطينتهم من شراذم العصابات اليهودية ، ويعاهدون الله والعروبة ان يعملوا يدا واحده في سبيل استرداد بلادهم ولو كره الكافرون ...

(فلسطين)

● حسن علي معروف ـ سبلين

حتى نعود .
كما نعود ..
ردوا عن خدرها الاسباح :
فنسم الارواح ..
ويهرب الظلام ..
يلمس النور !!
هذه الارواح ...
تسبح في حلقه الشمس
ردوا عن خدرها الغيوم ..
فتبسم الاضواء ..
وتغرد العندليب ..
اغنيه النهار ..
وتزحف الافاعي ...
في بطونها .. النار ..
فتصيح .. تصيب
وانت يا ملاكي ..!
مزقي ثوب الالم ..
هل من براك ..
نعوم من العدم !!
فالريح تعطره الانفاس ..
تعزف اغنيه الصباح !!
قد تموت الظلام ..!
لو وقدنا الشموع !!
بباب العدر !
وبايدينا .. رماح !
نرقص والرياح ...

● رضوان القطب ـ طرابلس ـ الميناء

شهداؤنا في ثورة
فانتفض الغبار
ليندفع الاعصار
صاحب الحق انت
جاهد
واصل واستشهد
كفى تلبد الغيوم
لكن دمدمة الرعود
لهب العاصفة
وتلتهم الغاصب
وتصفو السماء
وتشرق الشمس
ونعود ... ونعود

● مثقال نزال الفارس ـ مخيم العباسية ـ صيدا

غدا سوف تصبح الولايات العربية المتحدة حقيقة واقعة رغم انف المكابرين غدا لسوف تحس الغرب والدول التي تدور في فلكه ان قوه جديده قد ولدت في المنطقه ويجب ان تحسب لها الف حساب ...

قوه عربيه كبيره لها الحق في ان تتكلم .. وان تتنفس .. وان تحس . قوه من الاحرار الذين يبنون الحياه لا من العبيد الذين يجرون القيود .

قوه تصرخ ولا تصمت . تزمجر ولا تبكي ... تقف ولا تركع ... تصعر الخد ولا تحني الجبهه ... تسلك طريق العماس السلمي . ولا ترتمي في احضان الاجنبي الدخيل !

غدا ستعلم دوله العصابات هذه الدوله « اللقيطه » ان الدول العربية المتخلفة اصبحت كتلة واحده متماسكة تشد بعضها بعضا كالبنيان المرصوص . كتله تعمل ولا تلهو ... تفكر ولا تجعجع ... تأمر ولا تتوسل تسخط في وجه الاستعمار ولا تستجدي منه القوة والنفوذ ..

لقد انقضى العهد الذي كان يحسب فيه الغرب . اننا امة متخلفة من العبيد لقد دارت عجلة التاريخ دورتها ولن تستطيع الغرب ان يتصدى لها مهما تفنن في وضع العصى بين الدواليب . لقد صرنا احرارا والاحرار لا يخضعون لنفوذ الطغيان ... لا يتلقون الاوامر بالبريد الدبلوماسي .

الاحرار يرفعون الرؤوس في شمم ولا يذلون الجباه في خنوع ... يؤثرون الحياة التي يصنعها فلاسفة الثورات على الحياة التي يصنعها الاستبداد .

ولتعلم هذه الشرذمة اننا ننشد السلم ولا نريد الاستسلام ... نقلم اظافر الذئب المفترس ونعيش في هدوء مع الحمل الوديع ... نريق الدم دفاعا عن المبدأ ولا نبيع المبدأ بشيكات بلا رصيد .

فالامة العربية التي اطاحت بايدن فهي ولا شك ستعرف كيف تؤدي بشاه ايران تلميذ ايدن . الذي لا يقل خطره على القضية العربية عن خطر اركان الاستعمار : لندن ـ تل ابيب .

● كمال قطناني ـ الغبيري ـ بيروت

اخي النازح
هل لاحظت يا اخي ...
اعداؤنا في مختلف بلاد العالم يتجمعون
ونحن في مختلف الاقطار تائهون .
فكر يا اخي ... وارسم الطريق ...
وابدا العمل
فالنكبة والتشرد عار .. ولا بد لنا
من ان نغسل العار ...
فلنتقدم لغسل العار ...
لنتقدم للعودة ...

● صالح محمد ـ الرشيدية صور

سبعه عشر عاما ونحن مشردون ، وبالمخيمات ساكنون .

سبعه عشر عاما مرت ونحن راقدون الطفل يسال « ابن موطني » الشاب يسال « متى المعركه » الشيخ يسال « متى ستحرر فلسطين ، لن اموت الا بفلسطين » . نحن لك بالمرصاد يا اسرائيل . سنحمل السلاح ونحارب . سنعود حتما رغم انف الغاصبين .

قف يا اخي واهتف باسم فلسطين. قف يا اخي واهتف اننا عائدون قريبا. قريبا ستتطهر هذه الارض موطن الاباء والاجداد من هذه العصابة قريبا سيرفع علم العروبة على اسوار عكا وحيفا ويافا والقدس .

● ماجد عبد الرزاق ـ مدرسة غزه ـ بيروت

اليك يا قائد نهضتنا العربية الجديد
اليك يا محرر العرب من الاستعمار
اليك يا من آمنت بالقومية العربية
واتخذت منها رمزا لجهادك وكفاحك المرير في الحياة الدنيا
اليك يا قاهر الاعداء من فرنسيين وانكليز واسرائيليين في بور سعيد وسيناء
اليك يا مبعد الرجعيين الاقطاعيين من ارض الكنانة
اليك يا من ايقظت العرب من غفلتهم
اليك يا من جعلت من الشعوب العربية متراسا تحرق المارقين
وتصد المستعمرين واذنابهم
اليك يا جمال عبد الناصر
فلسطيننا بانتظارك واننا لعائدون .

● ● ●

وكتب احمد محمد طه تحت عنوان « فداء فلسطين »
وشعبها لن يستكين
وقلبه قاسي كالحديد
ويوم العودة قريب
وليس الغد ببعيد
وهناك نقيم الافراح
ونصبح بعدها عيد

الشهيد

(بطوله الشهيد ابراهيم موسى الحصري)

كانت سريه من قوات الجهاد المقدس متمركزة في قريه المجيدل قضاء الناصره وكان عدد كبير من ابناء القريه المسلحين يقفون جنبا الى جنب مع قوات الجهاد المقدس لصد اي هجوم وكانت تحيط في هذه القرية عدة مستعمرات اسرائيليه منها مستعمره نهلال ـ وجباتا وخنيفس وغيرها .

وفي صباح ١٩٤٨/٧/٥ وفي تمام الساعه الثامنة صباحا قامت قوه اسرائيلية كبيره ساندها خمسه دبابات اسرائيلية ونصف جنزير ثلاثة بشن هجوم عنيف على قرية المجيدل وقد تصدت لها قواتنا واصلتها نارا حامية بقيادة البطل الشهيد «دياب الفاهوم ابو موسى» وقد استمرت المعركة حتى الساعه الثانيه بعد الظهر دار خلالها قتال عنيف استبسلت فيه قواتنا وارغمت العدو على الانسحاب تاركا ورائه ثمانية وستون قتيل وعدد كبير من الاسلحة والذخيرة والقنابل اليدوية وكنا قد سيطرنا على الشارع الاسفلت الذي تمر عليه السيارات الى مدينة حيفا .

وكان بين افراد المناضلين البطل الشهيد ابراهيم موسى الحصري من قرية صفوريه الذي ابلى البلاء الحسن اثناء المعركة وابى الا ان يخرج من موقعه والمعركة في اوسع ابوابها وفي يده مدفعه الرشاش وهجم على دبابة اسرائيليه من الدبابات والقى داخلها قنبلة يدوية كانت كافية للقضاء على جنود الدبابة السبعة وضابطها المدعو شراكا موسى كوهين وبعد انسحابه اصابته طلقه رشاش في صدره سقط شهيدا يوقع في دمه الطاهر على ارض فلسطين الحبيبة اروع امثال البطولة والتضحيه والفداء ،

يوسف عثمان قبطان

فلسطين المحتلة
تصدرها المؤسسة الصحفية للنشر والانتاج
[illegible]

١٠ نيسان
عام ١٩٤٨

المعركة التي ارادها ابطالها حافزاً للبطولة والانتصار فحولها جهل الدعاية الى حافز للرعب والهزيمة

تشكل مذبحة دير ياسين احدى علامات المرئة الفلسطينية الرئيسية ، وتعتبرها الاوساط الاسرائيلية نقطة التحول الحاسمة في القتال ، حيث استطاعت « الهزيمة السايكولوجية » ان تؤدي مباشرة الى الهزيمة العسكرية .

وان كانت دير ياسين قد انطبعت في الذهن العربي كمجزرة ،رتكبها الصهاينة فان الجانب الآخر من دير ياسين ، وربما الجانب الحقيقي اكثر ، هو البطولة التي ما تزال صفحة مطوية من تاريخ هذه القرية الباسلة : ان فلة قليلة فقط تعرف ان المهاجمين اليهود نكبدوا من الخسائر ، في معركة دير ياسين اكثر مما تكبد سكان القرية الذين ذبحوا عن آخرهم وسدت بأجسادهم المقطعة آبار الماء في القرية .

ان فيمة دير ياسين الحقيقيه يجب ان ؤخذ من مجموع الاحداث التي وقعت في ذلك اليوم الدامي من نيسان ١٩٤٨ ، الا ان فقدان عنصر التنظيم الدعاوي والسايكولوجي من قبل العرب في معركة فلسطين قد جعل من كارثة دير ياسين ، في نهاية المطاف ، نقطة سلبية في حرب فلسطين رغم انه كان من الممكن الوصول الى جعلها نقطة انطلاق ايجابيه في المعركة .

لقد حولت « الدعاية » العربيه والعفوية وذات الطابع الميال الى المبالغه ، حولت دير ياسين الى حلقه ندب وعويل ورعب ، الامر الذي لم يفكر به للحظة واحده سكان دير ياسين انفسهم الذين كان بوسعهم مغادره قريتهم بهدوء ، او الاستسلام بخنوع ، ولكنهم صمدوا طوال نهار ١٠ نيسان ١٩٤٨ وهم يعتقدون ، اغلب الظن ، ان صمودهم وبطولاتهم وتضحياتهم ، رجالا ونساء ، سيجعل من دير ياسين رمزا للانتصار وحافزا له ، وليس رمزا للهزيمة وحافزا لها .

ولكن الاحداث تزاحمت بصورة هائله ، واتى ازدحامها في وقت كانت القيادات السياسية والعسكرية التقليدية في فلسطين وخارجها غير مهتمه اطلاقا بقيمة الاداة النفسية في القتال بينما كانت الصهيونية العالمية، في الداخل والخارج ، تخطط على اساس الاستفادة الى ابعد مدى من السلاح السايكولوجي الذي تزداد فعاليته حين لا يجد في المقابل الا الفراغ والارتجال وانعدام المقاومة .

ان الاحداث التي تتالت في تلك المرحلة الزمنية الحاسمة من المعركة الفلسطينية ، وشكلت انعطافا بارزا في مجرى تلك المعركة ، يمكن حصرها كما يلي :

– اولا : مذبحة دير ياسين والقصص التي اسهمت الدعاية الصهيونية في تكبيرها حول هذه المذبحة وحول اهالي هذه القرية الذين « ذبحوا كالنعاج » بينما كانت الحقيقة الجديرة بقلب الموقف راسا على عقب وهي الحقيقة التي لم يكترث احد بنشرها انذاك هي ان اهل دير ياسين لم « يذبحوا كالنعاج » ولكنهم دفعوا حياتهم ثمنا شريفاوبطوليا في ساحة القتال لمعركة غير متكافئة ابلوا فيها بلاء لم تقدر قيمته حتى الآن

– ثانيا : استشهاد عبد القادر الحسيني ونفر من اشجع مقاتليه في معركة القسطل بعد ذلك بيومين فقط لتتكرر القصة ذاتها التي انتشرت في اعقاب معركة دير ياسين وهي ان القائد الوحيد الذي كان مرشحا لقيادة كفؤة لفلسطين قد قضى بلا ثمن ، بينما كانت الغاية الرئيسية من معركة القسطل ، كما اثبتت روايات موثوقة ، هي تحقيق اندفاع فلسطيني هجومي ، وليس تحقيق نكسة ، كما حصل .

– ثالثا : بدء اليهود بتنفيذ خطتهم الشاملة ، خطة دالت ، مباشرة في هذه الظروف وبصورة تعتمد اعتمادا شبه كلي على انعدام التنظيم المضاد في الجبهات العربية واعتماد هذه الجبهات على مبدا الاشتباك وليس مبدا الهجوم

ومن قلب ذلك التراجع على كافة الجبهات العسكرية والسياسية والنفسية الذي حدث في ذلك الاسبوع من نيسان ١٩٤٨ برز يوم ١٠ نيسان « كيوم الشهداء » ، ليتحول حتى الآن الى «يوم» آخر يضاف الى ايام فلسطين العديدة التي تسجل الكارثه كل عام من فوق منابر الخطابة والمهرجانات .

★ ★ ★

فما الذي حدث في دير ياسين ، عمليا ، يوم ١٠ نيسان من عام ١٩٤٨ ، كما يمكن ان يراه باحث بعد مرور ١٧ عاما على ذلك اليوم ؟

لقد كانت « دير ياسين » كما استعملتها الصهيونية ، سلاحا ذا حدين : واذا كان حدها الاول «مفيد» في الحرب السايكولوجية ضد الفلسطينيين فان حدها الآخر «يسيء» دعاويا للصهيونية على صعيد عالمي .

ولذلك كانت دير ياسين ، حتى بعد انشاء اسرائيل ، مادة حوار اساسية في اوساط الحكم الصهيوني في محاولة لتنصل الاطراف المسؤولة من مسؤولياتها ، بعد ان انتهت الفائدة من استعمال احد حديها .

لقد حاول بن غوريون ان يتنصل من الحادث (وبصورة خاصة ذبح النساء والاطفال بعد تعذيبهم اثر انتهاء المعركة) والقاء تبعة هذا الحادث على ارهابي الارالغون . ولكن هذه المحاولة كانت تصطدم دائما بالحقائق .

ولنتابع القصة من اولها .

★ ★ ★

يوم ١٠ نيسان ١٩٤٨ ..

قرية صغيرة تقع غربي مدينة القدس اسمها دير ياسين . القرية الهادئة تعيش صامتة دون ان تدري ما الذي يحدث حولها من اعدادات ..

السفاح اليهودي مردخاي رعنان قائد قوات عصابة الارغون في القدس يتفق مع دافيد شالتئيل قائد قوات عصابتي الهاجاناه والبالماخ في القدس على القيام بعمل مشترك ضد قرية دير ياسين .

الساعة الرابعة صباحا : المقاتلون اليهود يتجهون الى القرية النائمة .

عدد سكان القرية الموجودين فيها انذاك حوالي المئة .. القوات اليهودية المتحركة نحو القرية :

● ١٢٠ مقاتلا ..
● ١٢ رشاشا ..
● وحدة مدفعية هاون عيار ٢ انش للتمهيد .
● وحدتا مدفعية هاون عيار ٢ انش للتغطية .
● جهاز اسعاف كامل .

القوات اليهودية تصل الى القرية النائمة في الساعة الرابعة صباحا . فتشتبك مع مقاتليها اشتباكا ضاريا يتحول الى قتال بالسلاح الابيض .

عصابة البالماخ تساند المهاجمين بوحدتي مدفعية .. وتغطي عملية الانسحاب .

الساعة الخامسة مساء تنتهي المعركة .. مقاتلو الارغون يسلمون القرية الى قيادة الهاجاناه .

الهاجاناه ترفع العلم اليهودي فوقها

★ ★ ★

صباح اليوم التالي :

الاذاعات العربية ومصادر النشر تتحدث عن المجزرة الرهيبة .

الخبر يضخم ويكبر كلما اتسع .

القرى المجاورة تهجرها النساء والاطفال والفوضى تعم .

الخبر يتسرب الى الخارج ويحدث ضجة عالمية ..

الوكالة اليهودية تخاف على سمعتها فتنكر ان يكون لها صلة بالحادث وتنفي مساهمة البالماخ في العملية ..

مردخاي كوفمن يعلن امام لجنة الاستئناف اليهودية عام ١٩٥٢ :

« ان الحملة قد دبرت ونفذت بالاتفاق بيني – بصفتي قائد قوات الارغون في القدس – وبين دافيد شالتئيل قائد قوات البالماخ والهاجاناه » .

الوكالة اليهودية تعلن في الداخل : « اننا لم نشترك مع الارغون في حادث دير ياسين . وكل ما في الامر ان قائد حملة الارغون طلب منا انتساند الحمله في التغطية على انسحابها من القرية وهي تحمل جرحاها . فاستجبنا لطلبه وغطت احدى وحدات البالماخ على الحمله عند انسحابها من القرية .. هذا هو كل الدور الذي قمنا به في عملية دير ياسين » .

التقارير التي اذاعتها الوكالة اليهودية في انحاء العالم الخارجي انكرت قصة التغطية باحجمها وغسلت ايديها نهائيا من الجريمة .

مردخاي كوفمن يصر :

« خلال المعركه اجتمعت مع شالتئيل قائد الهاجاناه والبالماخ – في مستعمره جبعات شاوول البعيده بضع مئات من الامتار فقط عن مكان المعركه . وكان دوي القنابل وازيز الرصاص في دير ياسين يعصف باذاننا . فعرض علي المعونه بالرجال والسلاح اذا كنا في حاجه الى ذلك فاجبته بان رجالي يقومون بمهمتهم خير قيام وهم في غير حاجه الى معونه .

وبعد المعركه سلمت القريه للهاجاناه حسب الاتفاق .. » .

الوكالة اليهوديه – التي صار اسمها بعد ١٩٤٨ « حكومه اسرائيل » – تحاول ان ترفع الوصمه عن البالماخ – التي تحولت بعد ١٩٤٨ الى « جيش اسرائيل » وعن زعيم الهاجاناه دافيد بن غوريون فتحاول ان تلصق التهمه بالارغون وبزعيمها مناحيم بيغن – الذي تحول الى نائب وتحولت عصابته الى حزب حيروت .

الصحافه اليهوديه تعلن ان عصابه الارغون حين انسحبت من دير ياسين اعلنت – كالعاده – انها « لم تحرز شرف الانتصار في المعركه الا بمساندة وحدتين من مدفعيه البالماخ » « حكومه اسرائيل » اخيرا تلقي على القضيه الغطاء ونسيانها .

ولكن ما الذي حدث بين الساعه الرابعه من صباح ١٠ نيسان ١٩٤٨ والساعه الخامسه من مساء ذلك اليوم ؟

الحاميه الصغيره من الرجال قاوموا – على قله عددهم وعتادهم – ببساله منقطعه النظير .

اليهود يدخلون القريه ليبداوا مذبحه انتقاميه ..

قتل جميع السكان تقريبا . النساء والاطفال والشيوخ – وكان الرجال الشباب قد استشهدوا

قتل اطفال المدرسه الوحيده في دير ياسين امام عيني معلمتهم المبعوثه من يافا الانسه حياة بلابسه الى دير ياسين ثم قتلت هي والقيت الاجساد في البئر ذاته .

معظم الجثث عليها اثار التعذيب الطويل قبل الموت – كان لدى اليهود متسع من الوقت ليعذبوا النسوه طويلا – عدد القتلى – نساء واطفالا وشيوخا – ٩٩ نسمه .

امركا واسرائيل

ذكرت (هآ ارتس) (١٩٦٥/٢/٢٥) ان البرامج الامريكيه للمساعدات الخارجيه للعام المالي القادم التي قدمت الى الكونغرس الامريكي تشير الى ان اسرائيل ستحصل على مواد زراعية امريكيه كقرض طويل الاجل يسدد بالدولارات بدلا من العمله الاسرائيليه .

وذكرت ان اسرائيل ستحصل حتى نهاية السنه المالية المنتهية في ٣٠ حزيران القادم على فائض زراعي امركي قيمته ٣٢ مليون دولار تم دفعه بالعمله الاسرائيليه ثم اعيد لاسرائيل كهدية من امركا لغايات الاصلاح والتطوير . ويبلغ قيمه الفائض الزراعي الذي ستحصل عليه اسرائيل في العام المالي القادم ٣٠ مليون دولار يعطى كقرض لمدة ٢٠ سنه .

الصراع العنصري في اسرائيل

ذكرت (هآ ارتس) (١٩٦٥/٢/٢٥) ان الحاخومية نافست ذروتها بين السفارديم (اليهود الشرقيين) والاشكناز (اليهود الغربيين) في صفد .

وقد رجم السفارديم الشرقيون مكاتب المجلس الديني بالحجارة وعلى اثر هذا الحادث بعث الياهو ساسون ، وزير البريد ، وهو من اليهود الشرقيين ، بمذكره الى اشكول هذا نصها :

« اكرر رجائي اليك ، بجميع اساليب الرجاء ، وقبل ان يتوتر الوضع اكثر فاكثر ، فيتطور الى حرب داخلية بين الاخ واخيه ، بان تبادر فتولي النزاع القائم في صفد اهمية جديه خاصة تبرر تدخلك السريع فتعمل ، باسرع ما نستطيع ، على القضاء على هذا النزاع بطريقة يطمئن اليها الراي العام لليهود الشرقيين ، ونبرهن لهم على وجود العدالة والسلطة في اسرائيل . »

ويتزعم « ثورة » اليهود الشرقيين في صفد الحاخام دافيد ديان ، وهو شاب في السنة الثانية والثلاثين من عمره ، ضد الطائفة الاشكنازية (اليهودية الغربية) فيها ، وحاخامهم الحاخام كبلان ، الذي يعارض في تعيين حاخام لليهود الشرقيين في صفد .

ويؤيد اليهود الشرقيين في ثورتهم الوزيران الشرقيان الياهو ساسون ، وزير البريد ، وبخور شتريت ، وزير الشرطة .

وقد نظم اليهود الشرقيون في صفد اكثر من مظاهرة واحدة وكانوا يهتفون فيها هتافات تشبه التي مظاهرات وادي الصليب في حيفا ، وهي مظاهرات نظمها في الماضي مهاجرو يهود مراكش الشرقيين ضد يهود اسرائيل الغربيين .

دير ياسين



حياة سالم

معلمة مدرسة الاناث في قرية دير ياسين تخرجت من دار المعلمات بالقدس ، قتلها اليهود بينما كانت تضمد جراح الجرحى من ابناء القرية ، يوم غدر اليهود بهم وهاجموهم واحتلوا قريتهم ، وكان ذلك في يوم الجمعة الموافق ٩ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ .

البطل



ابراهيم ابو ديه





لكي تتمكن القوات اليهودية من تموين مئة الف يهودي في القدس والذين كانوا كما قال شرتوك في مجلس الامن على وشك الموت جوعا . قامت قوات البالماخ اليهود بهجوم اولي في ٣ نيسان عام ١٩٤٨ على قرية القسطل ونشبت معركة ضارية بين قوات البالماخ الكبيرة ومناضلي القرية القليلي العدد انتهت بسقوط القسطل بيد عصابة البالماخ .

● اثار نبا سقوط القسطل ثائرة عرب القدس ومن حولها لما لهذه القرية من مركز استراتيجي يشرف على طرق مدينة القدس نفسها وبفقدها تستطيع القوات اليهودية منها تموين اليهود المحاصرين انذاك في مدينة القدس .

● بدا الهجوم العربي الاول لاسترجاع القسطل من قوات البالماخ يوم ٤ نيسان عام ١٩٤٨ ، تطوقها المناضلون من نواحيها القبلية الشرقية ، والشمالية الشرقية ، واحتلوا التلال الواقعة بينها وبين عين كارم ، وقد احتلوها بعد قتال عنيف خسروا فيه ثلاثة قتلى وخمسة جرحى وخسر اليهود خمسة وعشرين قتيلا .

● وفي اليوم الثاني ٥ نيسان نسف العرب الجسر الكبير القريب من «قالونيا» لئلا يتمكن يهود القدس والمستعمرات العربية المجاورة لها (كجبعات شاوول ومنتفيوري وبيت هاكيم) من نجدة اليهود في القسطل ، الا ان اليهود تمكنوا من تعميره قبل ان تغيب شمس ذلك النهار .

● وفي اليوم الثالث ٦ نيسان هاجم العرب بقيادة كل من كامل عريقات وابراهيم ابو ديه وحافظ بركات محاجر الباشار فنسفوها كما نسفوا الاستحكامات التي اقامها اليهود من حولها ، وقتل وجرح من اليهود عددا يتوف على المئة وجرحوا آخرين . ولكن ذخيرتهم نفدت عند الظهيرة ولم تكن معهم سوى مدفعين من طراز برن ومدفع هاون من قياس ٣ بوصات وسبع عشرة قنبله وثلاثة الغام . ويظهر ان اليهود شعروا بذلك ، فقاموا بهجوم معاكس ، يهدفون من ورائه الى صد الهجوم عن القسطل والاحتفاظ بها مهما كلفهم ذلك من ثمن . ولقد عزز اليهود هجومهم بالمصفحات واتتهم نجدة ايضا من مستعمرتي عطاروت والنبي يعقوب ، فراح هؤلاء يسددون الخناق على القرى العربية المجاورة ليمنعوهم من نجدة اخوانهم المناضلين في قطاع القسطل ، فتطورت المعركة تطورا لم يكن في مصلحة العرب واستشهد خمسة من مناضلينا وجرح وكيل القائد كامل عريقات وقد طلبت نجدات عربية من القرى والمدن المجاورة الا ان الجميع كانت تنقصهم الذخيرة ولهذه الاسباب انسحب المناضلون .

● وفيما كان عبد القادر الحسيني في اجتماع « القادسية » اتاه نبأ سقوط القسطل بيد اليهود فتألم عبد القادر ورجع فورا الى القدس من سوريا بعد ان فشل في احضار الذخائر والسلاح المطلوب من اللجنة العسكرية المسؤولة في دمشق .

● بدا الهجوم الاخير يوم ٧ نيسان بعد ان قام البطل عبد القادر الحسيني بوضع الخطط اللازم لاحتلال القسطل وبدات المعركة اوجها في الحادية عشر من مساء ذلك اليوم وقد لاقى المناضلين نقصا فادحا في الذخيرة فتراجعوا مع العلم ان عددا كبيرا منهم قد جرح في هذه المعركة الغير المتكافئة وبقوا على هذه الحال حتى فجر ٨ نيسان حين شاع النذير ان عبد القادر وصحبه مطوقون بالاعداء وان معركة القسطل تكاد تنتهي بالفشل . فقام سكان القدس والمدن المجاورة لها بنجدة القسطل وقد وصل عدد المنجدين الى حوالي الخمسمائة مناضل الا ان عدد وعدة اليهود كانت اكثر . وقد قام المنجدون بحركة التفاف حول القسطل من الجنوب الى الشرق فالشمال وهنا التقوا بالمناضلين الذين جاءوا لنجدتهم من الشمال فانقض العربان على القسطل انقضاض الصاعقة فدخلوها مهللين مكبرين وبعد تطهيرها من الاعداء رفع العلم العربي على اعلى بناية فيها وكانت الساعة انذاك قد دقت الرابعة من مساء الخميس الثامن من نيسان عام ١٩٤٨ .

● ومع فرحة النصر والابتهاج بالفرح شاهدوا جثة البطل عبد القادر الحسيني ملقاة على الارض بجانب اول بيت من بيوت القرية في الطرف الشرقي مما كان يدل على انه اول من اقتحم القرية .

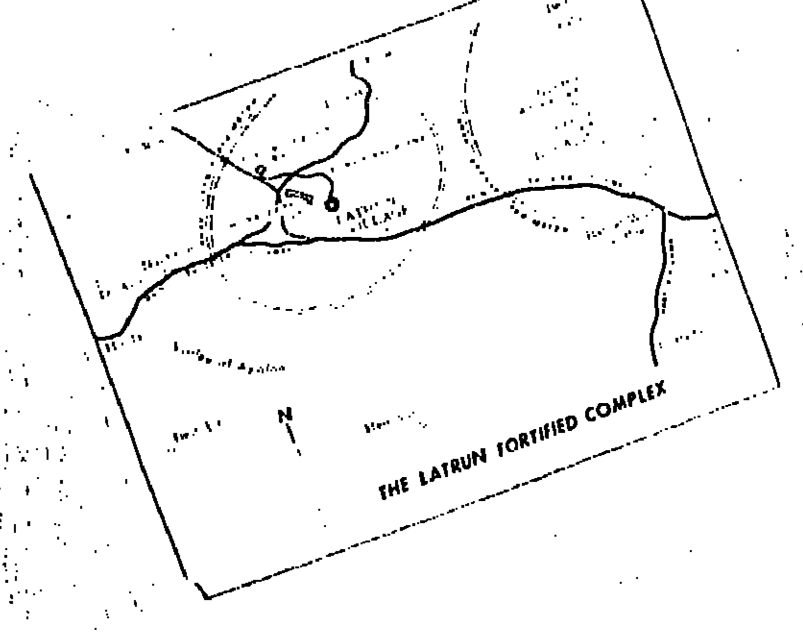
بعد مرور ١٧ عاماً على البدء بتنفيذها

خطة دالت

الخطة الصهيونية الأساسية لاحتلال فلسطين

بقلم
وليد الخالدي





بانتهاء آذار ١٩٤٨ ودخول نيسان ١٩٤٨ بدأت عمليا ، وبغض النظر عن التواريخ الدراماتيكية الاخرى ، كارثة فلسطين .

الآن تكون قد مر على ذلك التوقيت الحاسم ١٧ عاما ، ورغم ذلك فانه شيء يثير الاستغراب (والاسف) ان محاولة علمية لدراسة ما حدث في تلك الاسابيع الحاسمة الممتدة من اول نيسان الى منتصف ايار لم تحدث بعد .

كيف تحرك اليهود في تلك الفترة الخطرة التي قررت مصير معركة فلسطين ؟ على ضوء اية خطة ؟ فوق اية احتمالات ؟ رغبة في اية نتائج ؟ هل كانت « المصادفات » هي سيدة الاحداث آنذاك كما تحاول اقلام كثيرة ان تقول ؟

هذه الدراسة الاولى من نوعها التي كتبها الاستاذ وليد الخالدي بالانكليزية (وترجمها فلسطين فيما يلي لاول مرة) تتناول تاريخ تلك الفترة وتلقي ضوءا هاما على ابعادها ومعانيها .

فلسطين

« خطة دالت » او « الخطة د » هي الاسم الذي اطلقه القادة الصهيونية العليا على المخطط العام للعمليات الحربية ، وهو المخطط الذي كان الصهاينة يشنون هجماتهم المتتالية ضمن اطاره في نيسان واوائل ايار ١٩٤٨ في انحاء مختلفة من فلسطين تلك الهجمات الهادفة تدمير البنية الاجتماعية لعرب فلسطين، كان مقدرا لها احداث واقع عسكري تقوم على اساسه دولة اسرائيل .

لم تتناول المصادر الانكليزية الصهيونية ، الا حديثا ، حقيقة وجود « خطة دالت » . لقد اعطى جون وداقيد كمحي وصفا لهذه الخطة في كتابهما « صدام اقدار » . الا ان جون كمحي ، اكبر المؤلفين ، في تخطيطه وعموميته ، قد حسر من ضرورة تقدير الحقيقة وبين المتطلبات المكثفة للدعاية الصهيونية .

وهناك كتاب صهيوني احدث ، بالانكليزية ، يشير بوضوح الى خطة دالت ، ذلك هو « حد السيف » لناتان لورش . هذا المؤلف ، وهو اسرائيلي وعضو سابق في الهاجاناه ، كغيره من الاسرائيليين ، ليس كثير الحساسية تجاه الراي العام . لذلك ، فان عرضه مباشر وواضح ، وان كان تجد اختصار ما تعرض .

ويعتمد كل من كمحي ولورش كثيرا على المصادر اليهودية ، وبالتحديد : « هاسيفر هابلماخ » (كتاب البالماخ) الجزء الاول والثاني ، و « ارن اورفوت » (معارك ١٩٤٨) ، الكتاب اليهودي عن عمليات البالماخ والهاجاناه . ولكن لا كمحي ولا لورش تعرف باعتماده على هذه الكتب ولذلك فان الحصول على صورة واضحة عن « خطة دالت » لا يمكن ان يتم الا بمقارنة ما تعرضه كمحي ولورش بما ورد في « هاسيفر » و « اورفوت » .

● مشكلة الارض

ان دراسة « خطة دالت » مهمة بسبب الضوء الذي تلقيه على الظروف المحيطة بتدخل الجيوش العربية النظامية ونتائج هذا التدخل ، ومهمة بالنسبة لجذور مشكلة اللاجئين العرب . ان التفسير الصهيوني التقليدي لهذه المشكلة هو القول بأن عرب فلسطين قد تركوا ارضهم بناء على اوامر اذاعها قادتهم . ومع ان الصهاينة قد قللوا من التشديد على هذا الادعاء ، الا انهم لم يحذفوه . يشهد بذلك ترديد بن غوريون لهذا التفسير لمشكلة اللاجئين العرب في خطاب له في الكنيست .

لا داعي هنا للخوض في تفاصيل هذه المشكلة ، فقد برهن من قبل ان ادعاء الصهاينة بوجود اوامر عربية للهجرة هو ضرب من الاساطير . ما يلزم تاكيده هنا ، هو ان تشديد الصهاينة على وجود اوامر عربية بالهجرة تاكتيك دعاوي متعدد الاهداف : انه ينقل المسؤولية المعنوية تجاه اللاجئين الى العرب انفسهم ، ويضعهم في موقع دفاعي فيحملهم عبء ايجاد البراهين المضادة . وفوق كل هذا ، فان ذلك يحول الاهتمام من الجوهر الى النتائج : من المجرى الحقيقي لاحداث ١٩٤٨ في فلسطين الى دائرة مفرغة من الادعاءات والادعاءات المضادة .

ان المسلمات العقائدية لخطة دالت تنبثق من مفهوم الصهيونية بالذات .

. شارك صهاينة القرن التاسع عشر في شرقي اوروبا القوميين الاخرين في ذلك الوقت بخصائص عديدة ، لكن بخلاف الحركات القومية الاخرى ، لم تكن الصهيونية تمتلك ارضا تخصها . كان هم القوميين الاخرين اما الخلاص من سيطرة قوة اجنبية على ارضهم ، او انتزاع حقوق اكبر من مثل هذه القوى في ارضهم . لكن الصهاينة كانوا ، عمليا ، يبحثون عن الارض . كان الصهاينة يطمحون لامتلاك ارض وطبعها بما يدور في مخيلتهم . لكن ماذا اذا كانت هذه الارض ملكا لغيرهم ؟ كان على الصهاينة ان يواجهوا هذا السؤال منذ البداية . ونحن نعلم انهم قد قرروا منذ ايام هرتزل ان الجواب يكمن في نظرية « الاقل شرا » اي ان اية قساوة تفرض على اهالي الارض التي يختارونها تتضاءل اهميتها امام حل المشكلة اليهودية بامتلاك الصهاينة لتلك الارض . ولقد اصبح مقياس « الاقل شرا » (سواء طبق عن وعي او غير وعي) الحجة المعنوية للحركة الصهيونية ، ويقلص الى طمس لآلام ضحاياهم . فكان بامكان هرتزل ان يقول ، دون تأنيب من ضمير ، للاهالي الوطنيين في الارض المنوي اغتصابها : « اننا ننوي تهجير السكان الفقراء عبر الحدود وذلك بتامين عمل لهم في البلدان المجاورة

وحرمانهم انه فرصة العمل في ارضنا » (من كتاب « الحقيقة عن فلسطين » الونهاردت في لمرياني سنة ١٩٦٠) . وهكذا ، ايضا ، تم باسس هذا المبدأ في الصندوق القومي اليهودي الذي مول امتلاك الاراضي في فلسطين ، وحدد دستور الصندوق مصير الارض التي تحصل عليها من العرب بانها ستصبح « وقفا على اليهود » وان اليد العاملة العربية يجب الا تستعمل في الارض اليهودية .

○ السياسة الصهيونية

واذا كانت مسلمات خطة دالت موجودة في مفهوم الصهيونية ، فان تثبيت الخطة له جذوره في الفكر الاستراتيجي الصهيوني . وان ارلوسوروف ، مدير الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية ، الهادئ ، المثقف ، الاصلاحي ، يلقي ضوءا ساطعا على هذا الجانب من القضية .

في ٣٠ حزيران ١٩٣٢ ارسل ارلوسوروف الى وايزمن رسالة سرية حدد فيها اراءه حول الاستراتيجية الصهيونية : فاشار الى ان السياسة الصهيونية يجب ان تخضع فقط « لميزان قوى الشعبين المتنازعين في البلاد » . ان المرحلة الحالية (اي ١٩٣٢) هي ان « العرب ليسوا اقوياء بحيث يدمروا مواقعنا لكنهم ما زالوا يعتبرون انفسهم اقوياء بحيث يستطيعون تاسيس دولة عربية » . ستحقق المرحلة القادمة عندما « يصبح ميزان القوى الحقيقية بشكل يحول دون امكانية انشاء دولة عربية في فلسطين » . وستتبعها مرحلة اخرى « لا يستطيع العرب خلالها ان يحتملوا نمو البنية الاجتماعية اليهودية » . وسيتبع هذه مرحلة اخرى فيها « يكون ميزان القوى بين الشعبين قائما على قوى حقيقية وحل متفق عليه للمشكلة » . ان الامتحان الحقيقي للسياسة الصهيونية هو فيما اذا كانت المرحلة القادمة في هذا المسلسل ممكنة الوصول على اساس الاستراتيجية القائمة . وقد استنتج ارلوسوروف انه « في الظروف الراهنة لا تستطيع الصهيونية ان تحقق دون مرحلة انتقالية تمارس الاقلية الصهيونية خلالها حكما ثوريا منظما ... وخلالها يكون جهاز الدولة ، والادارة والمؤسسة العسكرية في ايدي الاقلية » . ويدرك ارلوسوروف ان ذلك لا يمكن ان يمثل تصورات ذهنية لحالات سياسية طالما كنا نرفضها » ولكنه لن « يقر بفشل الصهيونية قبل ان تجري المحاولة التي ترادف جديتها جدية النضال » .

● تهجير العرب

لم يتحدث الصهاينة ، باستثناء المجددين منهم ، للراي العام عن تهجير السكان العرب من البلاد . لكن ما من شك انهم بحثوا الموضوع بينهم . كتب هارولد لاسكي في سنة ١٩٣١ ، وكان على اتصال دائم بوايزمن حينذاك لفيلكس فرنكفورتر في الولايات المتحدة ، فقال ان « المشكلة » في فلسطين مستعصية الحل « الا اذا استعملت الحكومة البريطانية [...] لسكن العرب » . (من كتاب « هارولد لاسكي » لكينغزلي مارتن [...]) . لكنه ترك للجنة بيل الملكية عام ١٩٣٧ تحقيق الافكار الصهيونية .

فقد ورد في تقرير اللجنة (صفحة [...] « اذا اتسع ، بنتيجة التحقيق ، انه يمكن توفير مساحة كبيرة من الارض للدولة اليهودية ، فيجب بذل جهود فعالة للوصول الى اتفاق بشأن [...] والسكان » . ويضيف التقرير « ان الاتفاق يجب ان يتضمن ، [...] فرض المبادلة » . وبما ان توصيات التقسيم الواردة في التقرير [...] حوالي ١٢٥٠ يهوديا في الدولة العربية مقابل حوالي ربع مليون [...] الدولة اليهودية ، فان استعمال اللجنة لعبارة « استبدال » (وهي [...] عند الحديث عن مستقبل عرب فلسطين) هو امر غير طبيعي . [...] اللجنة لم يدرجها الجانب البريطاني [...] سافها وايزمن [...] نور (سكرتير المستعمرات البريطاني انذاك) قبل نشر تقرير [...]

وورد في المحاضر التي كتبها وايزمن [...] في ١٩ تموز (عن مجلة « جويش كرونكل » ، ١٢ آب ١٩٣٧ [...] قال في موضوع تهجير الاهالي العرب : « لقد قلت ان نجاح [...] او عدم رغبة الحكومة في تنفيذ هذه التوصية . ان الحكومة [...] وحدها ، لا اليهود ، يمكن ان تقوم بالتهجير . وقد اوضحت [...] الاقتراح . ان تهجير عرب فلسطين قد اوصي به في مناسبتين [...] الحرب . الاولى في عام ١٩٤٤ بواسطة اللجنة التنفيذية لحزب العمال [...] « سنشجع العرب بان يتركوا بينما يدخل اليهود » ، والثانية [...] الرئيس السابق هربرت هوفر الذي ايد في تشرين الاول ١٩٤٥ حل مشكلة « فلسطين » بنقل عرب فلسطين الى العراق .

ما من شك ان اول هذه [...] الاقل ، كان بوحي من الصهيونية ، وبشكل مؤكد تقريبا من عمل لاسكي [...] رئيسا لحزب العمال . اما مشروع هوفر ، فاذا لم يكن من وحي [...] فقد باركه الصهاينة (في رسالة مديح نشرتها النيويورك تايمز في ١٦ [...] ١٩٤٥ على مساحة عمودين ، وكانت بقلم البينشافريدمن من منظمة الهداسا [...] تعليق على هذا المشروع ، نشر المجلس الصهيوني الاميركي بيانا [...] في المجلة الصهيونية الرسمية « فلسطين » الجزء الثاني ، العدد [...] تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٤٥ ، صفحة ١٦) : « ان الحركة [...] لم تؤيد قط تهجير عرب فلسطين ، لكنها اكدت باستمرار ان في فلسطين [...] لسكانها الحاليين ، عرب ويهود ، ولبضعة ملايين من المهاجرين اليهود [...] السنوات العشرين الماضية قد برهنت هذا تماما ، على اي حال [...] كل الحلول المتداولة سابقا ، لا بد من اعتبار وسائل جديدة . [...] هوفر ، وقرارات المجلس الطارئ ، تمثل اساليب جديدة ، ويعلن [...] استعدادهم للتعاون مع القوى الكبرى ومع العرب لوضعهما موضع التنفيذ [...]

● الحد الادنى

وقد فجر القضية قرار التقسيم [...] الامم المتحدة عام ١٩٤٧ . اعطى القرار للصهاينة ، الذين كانوا يملكون ٧ بالمئة من فلسطين ، حوالي ٥٥ بالمئة من البلد . وكان موقف الصهيوني ان هذا هو « الحد الادنى » الذي يمكن ان يقبلوه . لكن الفرص التي فتحت امامهم كانت تفوق الكلام . ذلك ان توصيات الامم المتحدة ، رغم انها تصورت تقسيما سلميا ، فانها لم تعبر بجد الوسائل لوضع القرار موضع التنفيذ . وهكذا تورث مقاليد المبادرة للجانب الذي « يجاوب » مع ارادة الهيئة العالمية ويباشر بحمل واجبه في التنفيذ . وبالعكس ، لم يكن هناك حاجة اوسع حدود للاجراءات الرادعة تجاه الذين ، دفاعا عن حقوقهم الاولية ، « يتنكرا لارادة الهيئة الدولية » . [...] الوضع ، في اعتبارات الاستراتيجية السياسية قائلا لادنى حدود الاستقلال . و[...] بالنسبة للصهاينة ايضا ، اعتبارات ملحة اخرى ، اهمها موضوع ملكية الارض .

رغم ان ٩٠ بالمئة من الارض التي يملكها اليهود في فلسطين وقعت ضمن الدولة اليهودية المقترحة ، فان معظم الارض في الدولة اليهودية المقترحة لم يكن ملكا لليهود ، ولم يكن من ممتلكات الدولة التي يمكن نقلها فورا لحكومة لاحقة . وهكذا ، من اصل ١٢٠٥٠٠٠٠٠ دونم (منها ٦٠٠٠٠٠٠ اراضي صحراوية و ٧٠٥٠٠٠٠ من الاراضي الزراعية) هي مساحة الدولة اليهودية حسب مشروع التقسيم ، كان ١١٥٠٠٠٠ دونم فقط من الاراضي الزراعية ملكا لليهود .

في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٨ اشارت الـ « زيونيست ريفيو » في ملحقها عن الصندوق القومي اليهودي ، قائلة : « يمكننا شراء ٢٠٠٠٠٠ دونم دون الحاق الاذى بالامكان غير اليهود . وبالنتيجة ، سنمتلك ١٠٥٠٠٠٠ دونم من اصل ١٢٥٠٠٠٠ دونم يمكن الاستفادة منها . ذلك يعني ٦٠ بالمئة من الاراضي الزراعية الحالية . اهل يمكننا ان نقبل امتلاك اقل من ٦٠ بالمئة من الارض ؟ » .

اضافت المخططات الصهيونية ، الى مشكلة ملكية الارض ، وتيرة الهجرة الواسعة النطاق الى الدولة اليهودية المقترحة . وكانت الصعوبة هنا في وجود عدد من العرب يساوي عدد اليهود في الدولة اليهودية التي اقترحتها الامم المتحدة .

لكن فوق كل هذا ، كان ادراكهم لقوتهم هو الذي يملي السياسة الصهيونية . ففي اذار ١٩٤٦ ابلغت الهاجاناه لجنة التحقيق الانكلوامركية : « اذا كنتم تحبذون الحل الصهيوني ، لكنكم لا تستطيعون او لا ترغبون بفرضه ، فرجاء الا تتدخلوا ، ونحن سنقوم بفرض الحل » . ومنذ ذلك الحين كان من شأن رفض بريطانيا الرد بسرعة على الاعتداءات الصهيونية المتكررة ، لاسباب محلية وعالمية ، ان ازدادت ثقة الصهاينة بانفسهم . وشجع الصهاينة مساندة اميركا وروسيا لهم في الامم المتحدة عام ١٩٤٧ . ومهما يولغ في وعي الصهاينة لقوتهم ، فان ذلك لم يكن قائما على اساس من الواقع ، خاصة بالنسبة للقوة العربية المحلية .

مع نهاية آذار ١٩٤٨ كان بامكان الصهاينة ان يضعوا في الميدان ثلاثة الويه من البالماخ (وهي قوة ضاربة شديدة الحركة كانت تستعمل حسب الحاجة) وستة الوية من الجيش (حايل ساديه او قوة ميدان) التي كانت تعمل في ستة الوية قسمت البلاد على اساسها ، ولوائين من منظمة الارغون الارهابية .

بالاضافة لذلك ، كانت هناك قوات الخم (حايل مازا او فرق الحرس) الذين كان تعدادهم يوازي قوات الجيش ، والبوليس اليهودي المحلي وتعداده حوالي ١٢٠٠٠ ، وكتائب شبيبة الغادنا ، والسكان اليهود المسلحين .

اما السلاح المتوفر لهذه القوات ، فكان منه قائما عما كان تحسبه معرفه من المصادر الصهيونية . يورد كمحي (في كتابه « صدام اقدار » ، صفحة ٧٦) نقلا لبن غوريون بيان فيه ان الهاجاناه كانت تملك في نيسان ١٩٤٧ : ١٠٠٧٣ بندقية ، و ٤٤٤ رشاشا خفيفا ، و ١٨٦ رشاشا متوسطا . لكن هذه الارقام لا تشمل سلاح البوليس اليهودي المحلي الذي كان جزءا مهما من المؤسسة الصهيونية العسكرية في البلاد ، وان لم يكن رسميا تابعا للهاجاناه .

وهنا لم يذكر اي من كمحي او لورش البوليس اليهودي المحلي . ثم ان هذه الارقام يجب اعتبارها اقل من قوة الهاجاناه الحقيقية . فمثلا ، نعلم ان معملا صهيونيا واحدا يعمل في بلد واحد ، هو بولندا ، استطاع وحده قبل انتهاء الحرب ان يرسل ٢٤٢٥٠ بندقية و ٢٥٠ مدفعا رشاشا للهاجاناه (من كتاب « البندقية الخلفية » لهربرت اجر ، صفحة ٢٠٤) .

يجب مقارنة البيانات الاحصائية للورش وكمحي بالمعلومات الواردة في المراجع اليهودية ، خاصة كتاب البالماخ « هاسيفر هالماخ » . نعلم من هذا الكتاب (الجزء الثاني ـ صفحة ٥١) ان المصانع الصهيونية المحلية كانت تنتج ، حتى اذار ١٩٤٨ ، ستة بنادق رشاشة خفيفة يوميا ، وزادت هذه النسبة الى عشرين يوميا بانتهاء الاسبوع الاول من نيسان ، و ٤٠٠٠٠ طلقة عيار ٩ ملم من الذخيرة شهريا . يضاف لذلك ، ان هذه المصانع كانت تنفذ اوامر بانتاج ١٥٠٠٠٠ قنبلة ملز و ٣٠٠٠٠ قذيفة مورتر من عيار ٢ انش ـ كل ذلك لم يرد ذكره من قبل كمحي او لورش ولا في اي سجل صهيوني بالانكليزية .

لقد كانت المصانع الصهيونية المحلية جد فعالة ، فبالاضافة لمدافع طراز ستن ، ومدافع مورتر عيار ٢ انش و ٣ انش وذخيرتها ، كانت تنتج قاذفات اللهب (وهو سلاح صهيوني محبب) ، وبياتس (مدافع مضادة للدروع) . ومدفع مورتر ثقيل يسمى دافيدكا الذي كان احب الاسلحة لدى الصهاينة . يذكر كمحي (صفحة ١٦١) ان الدافيدكا « كانت تقذف كتلة من المتفجرات مسافة ٣٠٠ يارد » . قد يظن القارئ ان هذا السلاح ضعيف ولا يؤذي ! لكن الحقيقة ان الدافيدكا كانت تقذف قنبلة تحتوي ستين رطلا من الـ ت.ن.ت. على احياء مدنية اهلة حيث كانت الضجة واللهب يرهبان النساء والاطفال .

● المشكلة الحقيقية

كانت هذه هي القوة التي خولها الصهاينة نحو تحقيق احلام هرتزل . وكانت مميزات الوضع الاساسية من حيث ميزان القوى ، كما يلي : كان لليهود ، دون ادنى شك ، قوة جارفة قياسا بالعرب . الا ان قوة العرب كانت تكمن في كونهم مقيمين . وليهزموا كان طردهم ضروريا ، بل كان لا بد من طرد العرب اذا اراد الصهاينة الحصول على ما « اعطته » لهم الامم المتحدة .

ذلك ان قرار الامم المتحدة بالتقسيم في تشرين الثاني ١٩٤٧ لم يأت لتثبيت الوضع القائم في فلسطين ، على العكس ، كان قرار التقسيم قرارا جذريا يهدف اعادة توزيع الارض لصالح الصهاينة .

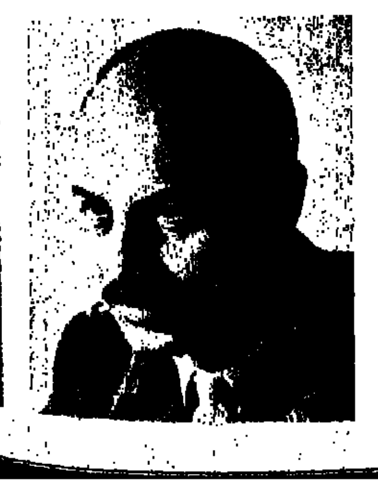
لينجحوا ، كان على الصهاينة ان يفجروا الوضع القائم ، كان لا بد لهم من العمل ، والمبادرة ، والاقدام . لكن عاملين كان بامكانهما الحد من ذلك الطموح : الاول ، وجود البريطانيين في فلسطين ؟ والثاني ، الجيوش النظامية للبلدان العربية المجاورة . كان البريطانيون قد اعلنوا عزمهم على ترك فلسطين في ١٥ ايار ١٩٤٨ ، يومها ينتهي الانتداب ، ويبقى البلاد في فراغ من حيث السلطة الشرعية خاصة ان بريطانيا سبق ورفضت مشاركة الامم المتحدة خلال الانتداب لارساء قواعد دولة جديدة . اذن ، كان ممكنا للجيوش العربية ان تدخل في ١٥ ايار دونما رادع قانوني . ودخول الجيوش العربية مع بقاء عرب فلسطين سيحمل القوى المؤيدة للوضع القائم (اي التي ترفض قرار الامم المتحدة بالتقسيم) قوة خارقة . اذن ، كانت قضية الصهاينة الملحة اجلاء عرب فلسطين قبل ١٥ ايار . لكن كيف يمكنهم ان يفعلوا ذلك ، وما زال للبريطانيين كل السلطة الشرعية ؟

في التحليل النهائي ، كان الموضوع يركز على سلوك البريطانيين ازاء التقسيم وعلى التوقيت الفعلي لانسحاب البريطانيين من البلاد .

بغض النظر عن راي الصهاينة ، لم تكن بريطانيا بعيدة عن فكرة التقسيم ، وربما فضلت دولة يهودية اصغر مما اقترحته الامم المتحدة . لكن توقيت انسحاب البريطانيين كان الجوهر ، وكان ذلك موضوعا عسكريا فنيا ، الاولية فيه لمتطلبات حماية القوات البريطانية المنسحبة . كان تخوف الصهاينة في البلاد هو في ان تتابع بريطانيا ادارتها للبلاد ككل ثم تتركها دفعة واحدة في ١٥ ايار ، مسهلة بذلك للجيوش العربية بسبب الاوضاع الراهنة في فلسطين . وسرعان ما اتضح ، ان بريطانيا ، وهي تمارس ادارتها اليومية للبلاد ككل ، كانت ستتخلى عن الادارة الفعلية للمناطق تدريجيا . كان ذلك ما اراده الصهاينة بالفعل ، فالادارة اليومية البريطانية لفلسطين كانت درعا يحميهم من خطر الجيوش العربية النظامية . وقد اعطى ذلك للصهاينة الوقت الكافي لتهجير عرب فلسطين وخلق وضع جديد يستحيل على الجيوش العربية قلبه في ١٥ ايار .









اقلب الصفحة

خطة دالت

تابع

● الخطط

هكذا كان التخطيط العسكري الصهيوني قائما على استراتيجية ذات مرحلتين تتلاءم مع الوضع . في الخطة «س» كان الهدف الضغط الدائم على عرب فلسطين في كل مكان مع الابقاء على اتصال بالمستعمرات اليهودية في الدولة العربية المقترحة . وقد اعطى ييغال الون ، قائد البالماخ ، سببين للابقاء على هذه المستعمرات : (١) الضرورة الملحة لتحويل اي هجوم معادي عن المراكز المدنية الكبرى ، و (٢) عندما تقرر القوات ، الواقع عليها الهجوم ، هجوما مضادا لربط المستعمرات المعزولة .

اما المرحلة الثانية من الستراتيجية الصهيونية فكانت الهجوم الشامل لاحتلال وصيانة المقاطعات في مؤخرة القوات البريطانية المنسحبة . كان ذلك عملا مهما لا يمكن ايقافه الا بعمل مضاد وفعال . وكان ذلك هو الاساس لـ « خطة دالت » . ونقلا عن كيزفوت (عام ١٩٤٨ ، صفحة ١٦) كان الهدف من « الخطة د » « السيطرة على الرقعة التي منحتنا اياها الامم المتحدة بالاضافة للاراضي التي نحتلها خارج هذه الحدود ، وتاسيس قوى تناهض غزو الجيوش العربية المحتمل بعد ١٥ ايار . » وهذا غاية في الوضوح .

كان الانتقال من « الخطة س » الى « الخطة د » يعتمد ، لحد ما ، على سرعة ومدى انسحاب البريطانيين . لكن كانت هناك عوامل اخرى ، ابرزها العامل الاقتصادي .

كان الاقتصاد الصهيوني في فلسطين موازنا بدقة ومتماسكا ، وقد اثر هذا مباشرة على سرعة التعبئة وبالتالي على القوة الضاربة الموفرة في وقت معين لدى القيادة الصهيونية العليا ، لكن عاملين غير متوقعين فرضا توقيت «الخطة د»: الاول ، كان المقاومة العنيفة التي ابداها عرب فلسطين . ورغم انفجار الالغام في الاحياء العربية ، ورغم الغزوات الوحشية المتكررة على القرى الآمنة والتي نفذت وفقا للخطة «س» ، فقد حافظ العرب على مواقعهم في الفترة بين تشرين الثاني ١٩٤٧ وآذار ١٩٤٨ .

وحتى اول آذار ، لم يهجر القرى العربية اي من سكانها ، وكان عدد الذين تركوا المدن غير ذي اهمية . وفي الواقع ، كان يظهر وكأن العرب سيبقوا في اماكنهم وبالتالي يجهضون التغيير الجذري الذي مثله قرار الامم المتحدة . ليس هذا فحسب ، لكن مع نهاية شباط ، كان الصهاينة قد حاولوا ، دون جدوى ، ايجاد ارتباط بين الاجزاء المختلفة من البلاد . وظهر ان الحد الادنى اللازم للمبادرة الصهيونية وبالتالي النجاح قد تهدد .

● نقطة التحول في آذار

لا غرابة ان لجنة الامم المتحدة لفلسطين اعلنت عجزها وقالت ان التقسيم لا يمكن تلبيته سلميا ، ولا غرابة ايضا ان كورفوت (صفحة ١٥) يصف هذه الفترة ، وخاصة الاسبوع الاخير من آذار ١٩٤٨ ، « انها ربما تمثل التحول العملي الحاسم » الذي يواجهه الصهاينة منذ الحرب . لكن الاكثر اهمية بالنسبة للصهاينة كان التغيير الذي حصل في السلوك الاميركي ازاء التقسيم .

مع منتصف آذار كانت الحكومة الاميركية قد ادارت ظهرها للتقسيم ، مهما كانت ، ربما ، مشاعر الرئيس ترومان نحو الموضوع .

ويصف الدكتور سيلفر ، من الوكالة اليهودية ، السياسة الاميركية الجديدة بانها « انقلاب صاعق » . (عن « نيويورك تايمز » ، ٢٠ آذار ، صفحة ٢) ، ويصفها المؤتمر اليهودي الاميركي بـ « التكتيك المخزي والازدواجية » ، وعضو الكونغرس الصهيوني سيلر بـ « تحول مهلهل قصير النظر » (« نيويورك تايمز » ٢١ آذار ، صفحة ٦) . وربما ورد اهم تعليق على لسان الدكتور نيومان ، رئيس المنظمة الصهيونية الاميركية ، الذي قال : « اذا عطل قرار الجمعية العمومية فلا شك ان اليهود سيضغطون من اجل الهجرة والتمركز في كل فلسطين»

مقابل هذا الواقع وضعت « الخطة د » في حيز العمل . شملت الخطة سلسلة من العمليات التي ، لو نجحت ، لتركت كل فلسطين تحت الاحتلال العسكري الصهيوني . لا يهمنا هنا الوصف التفصيلي لهذه العمليات وانما نذكرها مع اهدافها :

● ١ — عملية ناخشون — ١ نيسان — هدفها احتلال ممر يصل تل ابيب بالقدس وبالتالي شطر الجزء الاساسي للدولة العربية المقترحة شطرين (هزمت) .

● ٢ — عملية هاريل — ١٥ نيسان — تتمة لعملية ناخشون ، مركزة على القرى العربية قرب اللطرون (هزمت) .

● ٣ — عملية مسباراييم — ٢١ نيسان — لاحتلال حيفا وطرد سكانها العرب (نجحت) .

● ٤ — عملية شاميتز — ٢٧ نيسان — لتدمير القرى العربية حول يافا وبالتالي عزل يافا عن الاتصال العضوي ببقية فلسطين كتمهيد لاحتلالها (نجحت) .

● ٥ — عملية جيفوسي — ٢٧ نيسان—لعزل القدس بتدمير الاطار المحيط بها من القرى العربية والسيطرة على طريق رام الله — القدس الى الشمال ، وطريق اريحا — القدس الى الشرق ، وطريق بيت لحم — القدس الى الجنوب . كان بامكان هذه العملية ان تتسبب في سقوط القدس كلها وجعل مركز العرب غربي الاردن غير محتمل (هزمت) .

● ٦ — عملية يفتاح—٢٨ نيسان—لتطهير الجليل الشرقي من العرب (نجحت)

● ٧ — عملية متاتي — ٣ ايار — لتدمير القرى العربية بين طبريا والجليل الشرقي (نجحت) .

● ٨ — عملية مكابي — ٧ ايار — لتدمير القرى العربية قرب اللطرون ، وبحركة جانبية اختراق منطقة رام الله شمال القدس (هزمت) .

● ٩ — عملية جدعون — ١١ ايار — لاحتلال بيسان وطرد التجمعات البدوية المجاورة (نجحت) .

● ١٠ — عملية باراك — ١٢ ايار — لتدمير القرى العربية بجوار بربر على طريق النقب (نجحت جزئيا) .

● ١١ — عملية بن امي — ١٤ ايار — لاحتلال عكا وتطهير الجليل الغربي من العرب (نجحت) .

● ١٢ — عملية بيتسفورك — ١٤ ايار — لاحتلال الاحياء العربية في القدس الجديدة (نجحت) .

● ١٣ — عملية شفيفون — ١٤ ايار — لاحتلال القدس القديمة (هزمت) .

كان ذلك كله قبل دخول الجيوش العربية النظامية ، كما ان ثمانية من عمليات « الخطة د » المذكورة كانت خارج الرقعة التي منحتها الامم المتحدة للصهاينة . ومن الجدير بالذكر ان ابناء كيمتشي يتمميان في كتابهما خمسة فقط من العمليات الثلاث عشرة ، رغم المقدمة العلمية للكتاب والمعنونة « حول كتابة التاريخ المعاصر » .

● تاكتيكات البالماخ

ان ادق وصف للوسائل التي اعتمدها الصهاينة لتحقيق مآربهم في هذه العمليات يورده ييغال الون ، قائد البالماخ والمسمى بطل حرب « التحرير » .

وبالتأكيد ، هو يعلم اكثر من غيره حقيقة ما حدث .

يرد الوصف في كتاب « هاسيفر هابالماخ » (كتاب البالماخ) — الجزء الثاني ، صفحة ٢٨٦ .

والترجمة : « كان امامنا خمسة ايام فقط قبل الموعد المرعب ، ١٥ ايار . رأينا ضرورة تطهير الجليل الداخلي وخلق تسلسل جغرافي يهودي في كافة انحاء الجليل الاعلى . كانت المعارك الطويلة قد اضعفت قواتنا ، وكانت امامنا مهمات ضخمة لسد طرق الغزو العربي . لذا تطلعنا لوسائل لا ترغمنا على استعمال القوة ، لدفع عشرات الالاف من العرب الباقين في الجليل الى الهرب ، ذلك انه في حالة غزو عربي ، كان ممكنا لهؤلاء ان يطعنونا من الخلف . حاولنا استعمال تاكتيك يستفيد من الانطباع الناتج عن سقوط صفد وهزيمة العرب في منطقة عملية متاتي . كان نجاح التاكتيك رائعا .

« جمعت كل المخاتير اليهود ، الذين لهم اتصال بالعرب في قرى مختلفة ، وطلبت منهم ان يهمسوا لبعض العرب ان تعزيزات يهودية ضخمة قد وصلت الى الجليل وانها ستحرق كل قرى الحولة . كان عليهم ان يقترحوا لهؤلاء العرب ، كاصدقاء لهم ، الهرب ما دام الوقت كافيا وانتشرت الشائعة في كافة مناطق الحولة بان وقت الهرب قد حان . كان عدد الهاربين لا يحصى . لقد نجح التاكتيك نجاحا كاملا . سقط مبنى محطة البوليس في حلسا في ايدينا دون طلقة رصاص . طهرت المساحات الواسعة ، نزع الخطر عن طرق المواصلات واصبح بامكاننا تنظيم انفسنا على الحدود استعدادا للغزو ، دون الخشية على مؤخرتنا . »

كما ذكر ، كانت « الخطة د » تحمل امكانيات ضخمة لا يمكن وضع حد لها الا بقوة مضادة مناسبة .

ان دراسة على الخارطة لمسرح العمليات المذكورة آنفا يظهر ان الصهاينة اوشكوا على السيطرة العسكرية الكاملة على كل فلسطين . كونهم لم ينجحوا تماما في خططهم لم يكن مرده لتعقيدات سياسية او حدود تكنيكية ، لكن مرده كان تدخل الجيوش العربية النظامية . يوافق ييغال الون على ذلك ، وهو الذي كان في مركز يؤهله ان يعرف :

« هذه المرحلة من الحرب والتي اصبحت ممكنة بانسحاب البريطانيين التدريجي ، وانتهت بدخول الجيوش العربية الى البلاد ، اعطت الهاجاناه انتصارات قيمة . شكرا للحرب الهجومية المحلية التي حققت تكامل الاراضي اليهودية واقتحام قواتنا للاراضي العربية . ان هرب العرب باعداد ضخمة سهل لقواتنا الاشراف على مساحات شاسعة ، وكان عبئا على العدو والذي بذل سهل لقواتنا الاشراف على مساحات شاسعة ، وكان عبئا على العدو والذي بذل التي حملها اللاجئون معهم للاراضي العربية . لولا الغزو العربي لما كان هناك من توقف لتوسع قوات الهاجاناه التي كان بامكانها ، بنفس الدوافع ، الوصول الى الحدود الطبيعية لاسرائيل ، ذلك ان قوات العدو المحلية كانت في هذه المرحلة مشلولة . »

نصف بن غوريون فقط !

في كتاب صدر مؤخرا في لندن اسمه « بن غوريون : سيرته السياسية » يقرر المؤلف الانكليزي موريس ايدلمان ان « سيرة بن غوريون تمثل انتصار الفردية في السياسة الحديثة » ففي اكثر من مناسبة كان يصعب على اصدقاء بن غوريون تحديد الخط الذي سيتخذه حول موضوع معين

يقرر المؤلف « ان قوة بن غوريون ، مثل قوة تشرشل ، هي في انه لا يطرح الحل السهل ساعة الخطر » فقد « اظهر انه رجل دولة حقيقي عند ازمة السويس حين استطاع اقناع وزارته بضرورة سحب القوات الاسرائيلية من مواقعها ، فقد كان ذلك مثلا آخر على جرأته في الوقوف ضد الراي العام عند الضرورة » .

وينصرف المؤلف الى تبرير عملية خطف ايخمان التي اثارت ضجة كبرى وكان بن غوريون وراءها فيقول ان هذا الحادث كان كما اراده بن غوريون « محاكمة لنظام ولا لمجرد فرد » ، ويمضي المؤلف على لسان بن غوريون فيقول : « ليس مهما اذا كان دور ايخمان كبيرا او صغيرا في الحكومة النازية ، ومهما يكن فيظهر انه قام بعمله على اتم وجه ، واذا صدقت شهادات بعض رفاقه ، فبحماس ايضا ، الا انه حتى لو نجح في الانتقال الى وظيفة اخرى لما انقذت حياة يهودي واحد . كان غيره جدير بالقيام بمهمته وكانت المذابح ، لذلك ، ستستمر وهنا تكمن الدرس الاساسي في المحاكمة » وكان بن غوريون نفسه قد قال في صحيفة دافار اثر اختطاف ايخمان : « انه من الضروري ان يتذكر شبابنا ما حدث للشعب اليهودي ، نريدهم ان يعلموا الحقائق المحزنة في تاريخنا» .

ان «عظمة» بن غوريون ، في راي المؤلف ، هي انه استطاع « تحقيق ما حققه رغم الاتجاهات المتباعدة في شعبه» هذا الشعب الذي قال عنه تشرشل انه يشبه اليونان من حيث انه اكثر شعوب العالم اهتماما بالسياسة «وهم بالتالي مقسمون الى احزاب يتصارع قادتها بتهور ، ولطالما قيل انه حينما يلتقي ثلاثة يهود فستجد بينهم لا محالة رئيسا للوزارة وزعيم معارضة واحد» .

★ ★ ★

على هذه « الثلاثية » يعتمد المؤلف في تسجيل سيرة بن غوريون : رده « الاخلاقي » على النازية بفلسفته في قصة ايخمان — قدراته الفردية غير المحدودة في السياسة — ثم نجاحه في جميع اتجاهات « شعبه » المتباينة في دولة .

وواضح من هذا التسجيل الانحياز في النظرة الى سيرة بن غوريون التي يقع فيها المؤلف : فما بدا له « جراة في الوقوف امام الراي العام » حين انسحبت اسرائيل من سيناء هو مجرد تشويه لحقائق موضوعية ليست مجهولة من قبل احد وليست ، كما انها لا يمكن ان تكون ، قرارا فرديا معزولا عن الضغوط المعروفة .

وبنفس المستوى يتكرر هذا الانحياز في طريقة النظر الى عملية خطف ايخمان ، فرغم كل ما قاله بن غوريون من محاكمة النظام النازي فان بن غوريون نفسه ، كما يسجل المؤلف ، يوضح ان العملية تمت لاغراض دعائية داخلية والحفاظ على مستوى التوتر المطلوب في العقلية اليهودية .

وموضوع انشاء دولة فوق الاختلافات القائمة بين اليهود موضوع منظور اليه ايضا ، بانحياز ضيق ، وذلك ان الذي حدث ليس هو انشاء دولة فقط ، ولكن ، وبنفس المستوى ، خلق مشكلة وطنية لشعب كامل ، غير عادلة ووحشية .

الحلقة الأخيرة من فضيحة لافون التي تكشف تفاصيلها لأول مرة


سارت : رئيس الوزراء اخر من يعلم !


دايان : لم يعرف !


لافون : وراء العمل المخزي

متى وكيف صدر الأمر باقتراف الحادث المخزي ؟

في الحلقتين اللتين نشرتهما « فلسطين » من الملخص الكامل لهذا الكتاب الذي ينشر لاول مرة روى المؤلف حجاي ايشد الظروف المحلية والدولية التي مهدت بانصال لتخطيط « الحادث المخزي » واقترافه .

ويسجل المؤلف التنازع غير الطبيعي في الصلاحيات والامتيازات بين رؤوس « الدولة » في اسرائيل والقوى العسكرية فيها وكيف ان هذا التنازع ادى الى اتخاذ قرارات متناقضة وغير بارعة . . .

وفي هذه الحلقة الاخيرة من الكتاب ، الذي تقدمه فلسطين لقرائها يكشف المؤلف الصهيوني النقاب لاول مرة عن الوقت الذي صدر فيه الامر باقتراف « الحادث المخزي » والظروف التي احاطت باصداره .

و « الحادث المخزي » الذي يشير اليه المؤلف دون ان يشرحه هو الذي صار يعرف فيما بعد بفضيحة لافون ، وموجزه ان لافون الذي كان وزيرا للدفاع آنذاك اصدر اوامره لمجموعة من الجواسيس للقيام بنسف واحراق المؤسسات الدبلوماسية والثقافية لانكلترا واميركا في مصر والحصول من وراء الازمة التي ستنشب حتما بين القاهرة من جهة ولندن وواشنطن من جهة اخرى بعد هذا العمل على مكاسب معينة تتوضح في المقال التالي . . .

(فلسطين)

متى صدر الامر باقتراف الحادث المخزي

ادى تدخل لافون في قضايا القيادة العسكرية في الهاغناه الى استقالة موشه ديان ، رئيس الاركان ، في حزيران ١٩٥٤ . وقبل قصة صفقة الدبابات الفرنسية ، حاول لافون الاتصال المباشر بضباط الهاغناه مستهدفا الحصول على معلومات منهم ، واصدار اوامر مباشرة اليهم . وقد تحدث اليه موشه ديان بهذا الامر اكثر من مرة ، وحاول كلاهما الوصول الى تسوية تمكن لافون من الاتصال بهؤلاء الضباط دون ازعاج لنظام القيادة .

وفي مطلع شهر نيسان من تلك السنة ، حاول لافون ان يستأثر بحرية الاتصال غير المشروط باربعة ضباط من الهاغناه هم رئيس المخابرات العسكرية وضابط الاركان في لجنة الهدنة ، والضابط الناطق بلسان الهاغناه ، والضابط المسؤول عن الحكم العسكري المطبق على العرب في اسرائيل .

وفي شهر تموز ١٩٥٤ توثقت العلاقات بصورة مذهلة بين لافون و « الضابط الكبير » . وفي ١٢ تموز غادر موشه ديان اسرائيل الى اميركا وفرنسا ، فزادت الاواصر بين لافون والضابط الكبير قوة . كما وان العلاقات بين لافون وشاريت زادت توترا .

وكان الخلاف بين لافون وشاريت على اشده حول شؤون الهدنة ، صغيرها وكبيرها ، بحيث انه تطور الى السؤال عمن سيشرف على هذه الشؤون ويديرها : وزارة الخارجية ام الجيش . وكان مدير قلم المخابرات هو المشرف اشرافا مباشرا على شؤون الهدنة باسم الجيش . وكان قلم المخابرات في الهاغناه اكثر فروعها اهتماما بالشؤون السياسية بحكم عمله ، وعندما اصر شاريت على عدم انسحاب اسرائيل من لجنة الهدنة ، خلافا لاوامر لافون . غير ان لافون لم يقر الامر الواقع ، فكتب الى وزارة الخارجية ، فاقر شاريت الفكرة في البدء ، ثم عاد فندم على سرعته ، واراد وضع المسؤولية على كاهل الهاغناه ، مع الاحتفاظ لنفسه بصلاحيات تمكنه من اصدار الاوامر المباشرة لممثلي اسرائيل والناطق بلسان اسرائيل .

وفي ذلك اليوم التأمت لجنة الماباي الخماسية آنفة الذكر ، لمناقشة الخلاف القائم بين شاريت ولافون حول لجان الهدنة ، فقررت ابقاء الامر في عهدة الهاغناه . غير ان هذا القرار لم يعجب لافون فتبادل مع شاريت المذكرات الشديدة في الفترة الواقعة بين ٢٢ و ٢٩ تموز ١٩٥٤ . وفي هذه الفترة بالذات ، صدر الامر باقتراف « الحادث المخزي » وبدأت ترتيبات تنفيذه .

وفي هذه الفترة بالذات ، بلغت العلاقات بين شاريت ولافون ذروتها في التروي ، وهوت العلاقات بين لافون وديان الى الحضيض ، بينما ازدادت قوة بين لافون و « الضابط الكبير » حتى ان الضابط الكبير قال : لقد كنا شركاء في كل امر .

وكان لافون يتحدث الى « الضابط الكبير » اذا ما خلوا معا ، عن جلاء بريطانيا عن قناة السويس ، وعن حرية الملاحة فيها . وكان قلم المخابرات الاسرائيلية يتلقى انباء المفاوضات وتطوراتها بشأن الجلاء ، فينقلها « الضابط الكبير » الى لافون فورا .

وكانت المفاوضات قد توقفت في اكتوبر ١٩٥٣ لكنها سرعان ما تجددت في حزيران ١٩٥٤ وفي ١٦ منه بعث « الضابط الكبير » بمذكرة الى لافون وباخرى الى موشه ديان . واشار فيها الى اجتماع تشرشل مع ايزنهاور بشأن تجديد مفاوضات الجلاء ، وانتهائها خلال ثلاثة اشهر ، ولمح الى توقع قيام اسرائيل بنشاط في هذا الشأن . وحول هذه النقطة نشأ خلاف واضح بين مدير مخابرات الهاغناه ولافون من جهة ، وبين لافون وموشه ديان من جهة اخرى

ووافق ديان على مذكرة « الضابط الكبير » بشأن مفاوضات الجلاء عن القنال ، فقال : نفترض ان اسرائيل لا تستطيع وحدها ان تمنع اتفاقية الجلاء ، واشترط ديان على مرور سفينة اسرائيلية في القنال ، ان تكون اسرائيل مستعدة للقيام بعمل عسكري ، فيما لو احتجزت السلطات المصرية تلك السفينة في القنال .

وعلق « الضابط الكبير » على هذا التعليق ، فقال : ان مصر تعرض نفسها لخطر رد فعل عسكري عدائي اسرائيلي من ورائه رد فعل سريع في مجلس النواب البريطاني يحمله النواب المعارضون للاتفاقية ، فيما لو احتجزت السلطات المصرية تلك السفينة ، وعندئذ تعرض التوقيع على الاتفاقية لتسويف آخر .

وعاد ديان فعلق على هذا التعليق بقوله : هذا اذا احتجزت مصر السفينة الاسرائيلية ، واذا قامت اسرائيل بعمل عسكري .

وكان ديان يقول : ان محاولة اسرائيل نقل سفينة عبر مضائق تيران ، او عبر قناة السويس تكون مقبولة لو انها عززت المحاولة بعمل عسكري ، فيما لو احتجزت السفينة ، والا فان المحاولة ستكون الدليل على ضعف اسرائيل .

وفي الوقت ذاته كان قلم المخابرات الاسرائيلية يعتمد على مرور وقت طويل حوالي ثلاثة اشهر ، لانهاء مفاوضات الجلاء ، ولا يرى مبررا للسرعة من الدرجة الاولى في عمل اي شيء .

وفي ٣٠ حزيران احيط هذا القلم (اي المؤلف) علما من مصدر موثوق بان بريطانيا ستقدم الى عبد الناصر في مطلع شهر تموز مشروعا بريطانيا جديدا بشأن الجلاء ، معززا بتأييد اميركي ، وذلك عقب المحادثات التي عقدها تشرشل مع ايزنهاور في واشنطن بهذا الشأن .

وفي يوم الاثنين الموافق ١٢ تموز نشر نبأ يقول : ان بريطانيا تدرس مقترحاتها الى مصر ، وانها سترفع الجواب عليها خلال اسبوع .

وفي ١٣ منه اطلع سلوين لويد اهل اسرائيل على تلك المقترحات . وفي يوم الخميس منه نشرت صحف اسرائيل على صفحاتها الاولى تصريح . . . القائل : ان الوقت قد حان للجلاء عن قناة السويس . وفي هذا التاريخ . . . مكتب المخابرات الاسرائيلية . . . مصدر رسمي يقول : انه من المتوقع ان يصدر تصريح بشأن الجلاء عن قناة السويس بتاريخ ٢٢ تموز ١٩٥٤ م .

وفي هذا التاريخ بعث « الضابط الكبير » الى لافون بمذكرة ثانية ، علقا على مذكرته الاولى ، قال فيها : ان الجلاء عن قناة السويس يحدث تغيرا حاسما في الوضع في الشرق الاوسط ، منذ التوقيع على اتفاقية الهدنة وتصريح الدول الثلاث الكبرى بضمان حدود اسرائيل وسلامتها الاقليمية . ولا يسع اسرائيل الا ان ترى في هذا التغيير تحولا يمس امنها وكيانها تماما مباشرا ، بحيث انه اذا تمت اتفاقية الجلاء عن قناة السويس عملية لامن اسرائيل وسلامتها ، فلسوف تكون اسرائيل مضطرة الى اعادة النظر في موقفها من جديد والى تفحص الاحتمالات التي تواجهها على ضوء هذا الوضع الجديد . وجميع الاخبار التي تواردت خلال الاسبوع ، والتي بلغت ذروتها يوم الخميس ١٥ تموز ١٩٥٤ احدثت تسارعا فجائيا وضرورة اتخاذ قرار حاسم فوري .

اترى هل استوجب الامر القيام بعمل ما ، خلال الايام القريبة ، لسد اثر الضغط الذي يرمي توجهه النواب النوار من حزب المحافظين في البرلمان البريطاني ضد الجلاء عن منطقة قناة السويس ؟ ام ترى صدر الامر بعمل شيء من شأنه ان يؤجل التوقيع على معاهدة الجلاء ، في اللحظة الاخيرة ؟ .

فشل محاولة اقتراف الحادث المخزي

اذا استعرضنا تطور الاحداث منذ يوم الخميس ١٥ تموز ١٩٥٤ ، فانا حاصلون على الصورة التالية . في يوم الخميس اشترك « الضابط الكبير » في الجلسة الاسبوعية لدى وزير الدفاع .

وكان على جدول اعمال تلك الجلسة ثلاثة بنود مع جمعها حضر ضابط « الضابط الكبير » . وبحسب العرف المتبع حتى اليوم ، اعتاد رئيس الاركان ان يجلب معه الى الجلسة كبار الضباط المسئولين في مواضيع النقاش المختلفة ، حسب مقتضى الحال . وما كان الكولونيل يوسف الميدار ، نائب رئيس الاركان ، خبيرا بتفاصيل المواضيع التي كان عالجها « الضابط الكبير » .

وبعد ارفضاض الجلسة ، لبث « الضابط الكبير » يتحدث الى لافون على انفراد حول الامكانيات المعلقة لتعويق مفاوضات الجلاء عن مصر .

وكان من الطبيعي ان لا يتمخض حديثهما عن قرار فوري ، بل كان من المفروض ان يستعرضا الامكانيات في الغد ، وكان الغد ، الجمعة ١٦ تموز ، يوم ميلاد لافون الخمسين فكان مثقلا بالاستقبالات والجلسات في امانة الماباي ، والجلسة الخاصة التي عقدت « الهوية الناشرة » ، وقد اضطر الى الرجوع الى البيت في ساعة مبكرة ، ومثله فعل الضابط الكبير .

وفي الظهر تناول « الضابط الكبير » طعام الغداء مع الملحق العسكري الفرنسي فتحدث معه في قضايا شتى ، بما فيها النوايا التي تبيتها امريكا وبريطانيا للمنطقة .

وبعد الغداء اسرع «الضابط الكبير» الى منزل لافون ، لينهي معه الحديث الذي بداه في اليوم السابق .

والى هذا الحديث اشار « الضابط الكبير» في رسالتين بعث بهما الى موشه ديان في الخارج .

لقد تم نقل الامر باقتراف الحادث المخزي ابتداء من اليوم التالي ، السبت ١٧ تموز ١٩٥٤ وجميع مراحل نقل هذا الامر معروفة اليوم بالتفصيل وبالتدقيق ، وبطريقة مجردة عن النقاش .

غير اننا لاسباب شتى ، تصعب علينا ان نوضح هنا هذه بالتفاصيل . !

الان في مساء يوم الجمعة لا قبله ولا بعده ، « ١٦ تموز ١٩٥٤ » اصدر « الضابط الكبير » الامر . وفي صباح يوم السبت « ١٧ تموز ١٩٥٤ » نقل ضابط الجيش الاحتياطي هذا الامر والعلاقات الوطيدة بين الضابط الكبير ولافون انذاك مكنته من ان يتلقى من لافون هذا الامر ، وما كان ثمة ما يبرر للضابط الكبير ان يصدر امرا بالقيام بعمل عسكري ، دون موافقة او علم جميع رؤسائه ودون علم موشه ديان ، رئيس الاركان ، وكان انذاك في الخارج ، ودون علم نائبه الذي لم يكن على المسرح مطلقا ، ودون علم لافون ، وزير الدفاع ، وقد كان على صلات وثيقة ووطيدة مع «الضابط الكبير» في جميع شؤون منصبه ، وما عمله لافون ، وما لم يعمله ، منذ ١٦ تموز ١٩٥٤ حتى منتصف شهر كانون الاول من تلك السنة ، كان من شأن ان يوطد ويؤيد مزاعم « الضابط الكبير » القائلة انه في يوم الجمعة ، وفي ساعات ما بعد الظهر منه ، تلقى الامر من شخص لافون ، فنقله حالا الى الضابط الذي يليه في الرتبة .

وبدأت انباء فشل المحاولة باقتراف « الحادث المخزي » تنشر في الصحف رويدا رويدا منذ مساء السبت الموافق ٢٤ تموز ١٩٥٤ فصاعدا ، وفي يوم الاربعاء ٢٨ منه نشرت صحف اسرائيل بيانا وافيا ومفصلا بشأن هذا الفشل ، وفي هذا التاريخ فقط بدأ موشه شاريت رئيس الحكومة ووزير الخارجية يحيط علما بالحادث المخزي لاول مرة .

وكانت علاقاته مع لافون قد ساءت الى الحضيض عقب اختلافهما على الصلاحيات بشأن معالجة الامور في لجنة الهدنة .

وفي اليوم التالي الخميس ٢٩ منه دعا شاريت « احدهم » وسأله عن الانباء المنشورة عن الحادث المخزي فاجابه هذا بانه لا يعرف شيئا زيادة عما نشرته الصحف وسأله هل تلقى معلومات عن هذا الحادث من لافون فاجاب شاريت بالنفي ، وقال ان المعلومات تسربت اليه من مصادر اخرى

ثم اتصل احدهم بالضابط الكبير ، وبحث معه قصة « الحادث المخزي » فاجابه هذا بان اوامر لم تصدر باقترافه ، بل بتنظيمه ، واعداده . ونقل (احدهم) هذا التصريح الى موشه شاريت ، وعلق عليه بقوله « اني لا اصدق ذلك » .

(انتهى)

العرب في الرواية الصهيونية

في الجزء الاول من هذا البحث تحدث الكاتب عن «العرق والدين» في الادب الصهيوني كظاهرتين عبرتا عن نفسهما في اعمال مبكرة من هذا الادب وانتهى الى القول بان العرق والدين في الاعمال الادبية الصهيونية كلمتان تعنيان في الواقع اصطلاحا واحدا ،

وعلى ضوء الاستشهادات المباشرة من عدة روايات صهيونية استعرض المؤلف الصورة التي تقدمها هذه الروايات – على الجانب الابيض – للبطل اليهودي والصورة المناقضة التي تقدمها الروايات نفسها – على الجانب الاسود – لكل ما هو غير يهودي .

وفيما يلي الجزء الثاني والاخير من المقال .

(فلسطين)

ان الخط الذي تجري فوقه احداث الصهيونية المركبة في اعقاب ١٩٤٨ يمكن ان نحدده كما يلي :

اولا : البطل غالبا ما يكون قادما من اوروبا ، مهاجرا الى فلسطين بدافع «وطني» واخلاقي ، تاركا وراءه ذكرى طازجة جدا لمذبحة او لمذابح هتلرية فقد فيها اهله واصدقاءه ، هذا البطل بالذات يتكرر في اكسودس شخصية دوف ، وفي نجمة في الريح ، وفي الانتصار الاكبر وفي الاغرار الاخضر وفي غبار (يائيل دايان) وفي «في اعقاب جبال عملاق» من روايات الاسرة (تدركمان) وفي غيرها .

ثانيا : البطل او البطلة تقع او يقع في غرام شخص غير يهودي ، وعن طريق العلاقة بينهما يقدم المؤلف شرحا للصهيونية ويدير نقاشا بين الطرفين على هواه ، النتيجة طبعا هي ان يكتشف غير اليهودي عدالة القضية اليهودية فيضحي بدوره جنديا من جنود الصهيونية .

ثالثا : العرب ، بصفتهم الطرف الآخر في الرواية ، لا قضية لهم ، وكي يبرهن المؤلف على ذلك يلجأ الى القاء الذي لا حل له ووحشيتهم ويبذل جهدا ليبرهن انهم خربوا ارض فلسطين وهو جهد يترافق عادة بمحاولة لتضخيم آثار اليهود فيها ، وغالبا ما يكون البطل ضليعا في التوراة وفي علم الآثار اليهودية .

رابعا : مسلحا بهذه الاسلحة يدخل المؤلف الى الاحداث ولكنه يظل محتاجا الى اظهار اضطهاد العالم له ، الامريكيون والدانمركيون ، لاعتبارات مختلفة ، هما الشعبان الوحيدان اللذان نجوا من انتقادات واحتقارات الرواية الصهيونية ، ان الحملات التي توجه عادة الى الشعوب الاخرى تنطلق من محاولة لاظهار تماسك اليهود كامنية بين ظن ان هذه الشعوب وفضلهم عليهم ولانه لا يمكن حصر مثل هذا الهدف فان المؤلف لا يستطيع عادة السيطرة عليه وبالتالي ينقلب الى هجوم فيه الكثير من التصغير والاحتقار كما حدث مع ليون اوريس في اكسودس حين تحدث عن مقاومة اليهود في بولونيا فاليهود ملحمات للتصغير واحتقار البولونيين (ص ١٣١) .

خامسا : بسبب فقدان الرابطة الجغرافية واللغوية والتاريخية لليهود لا يستطيع المؤلف الصهيوني في حديثه عن اتجاه اليهود الى فلسطين ان يتجنب اعتبار الدين والعرق كدافع واحد داخلي يصاحب الدوافع الخارجية (الهتلرية والاضطهاد) لهذه الحركة تجاه فلسطين ، ولذلك تقع الاعمال الادبية الصهيونية في شباك التشرك العرقي بطرق متفاوتة ، كما حدث في دافيد الروي لبنيامين دزرائيلي ، وكما حدث فيما بعد في اكسودس او طوبى للخائفين وفي عدد كبير من القصص القصيرة التي تعاملت مع [illegible]

ان هذه المحاور الخمسة تشكل معا الهيكل العظمي للغالبية الساحقة من الاعمال الادبية الصهيونية التي تتصدى لتاريخ الاربعينات والخمسينات من هذا القرن ، على اصعدة متفاوتة ، فاذا كان ليون اوريس لم يكتف بمئات من الصفحات تحدث فيها عن الاضطهاد النازي حدثنا دراماتيكيا محشوا بمبالغات اسطورية ، اذا كان اوريس لم يكتف بذلك فملأ مئات من الصفحات الاخرى بمحاولات مبالغ فيها ايضا لتحقير العرب والشعوب الاخرى فان يائيل دايان في (الغبار) مثلا استطاعت ان تتجنب الحديث عن العرب وان تحصر الرواية كلها في نوع من المونولوج الداخلي تجربة البطل بين صفحة واخرى مع اهله الذين احرقوا في احد المعتقلات الهتلرية ، ولكن الاثنين – على اختلاف مقدرتهما الفنية وطريقة معالجتهما للمشكلة – لم يستطيعا على الاطلاق ان يقدما للاشكالات التي تنبثق عن المزج بين الدين والعرق ، هذا المزج الذي لا مناص من مواجهته في الاعمال الادبية ، تبريراتها العلمية : فمن ناحية اولى يلجأ اكسودس صراحة الى اسلوب نازي في اقامة مستويات بين الاعراق يمنح ما يشاء منها حق الحياة ويحرمه لمن يشاء ومن ناحية ثانية تسلط يائيل دايان سيف هتلر على رقاب القراء لتخفي وراء حافته الدموية حقائق اخرى ليست اصغر شأنا او اقل قربا من مجمل الصورة التي تتعامل روايتها معها .

على ان طبيعة البحث تقتضي الاشارة الى ظاهرة اخرى .

لقد ذكرنا فيما سبق ان الناقد الذي يستعرض الانتاج الصهيوني يلاحظ ، على عكس ما قال وولترود ، ان الكاتب الصهيوني يفقد موضوعيته كلما ابتعد عن الاحداث واشخاص وليس كلما اقترب منها كما قال وولترود .

ان ليون اوريس اكثر بعدا من الاحداث من يائيل دايان ، وبالتالي فهو اكثر فقدانا للموضوعية واكثر لجوءا الى المبالغات ، واكثر تقيدا باسس الصهيونية النظرية وبالتالي اكثر خلوصا لتناقضاتها من يائيل دايان التي عاشت الاحداث عن كثب .

وقرب يائيل دايان من الاحداث هو الذي جعلها في «طوبى للخائفين» تقوم بمحاولة لتبرير البطل المعصوم ، والعنوان واضح في هذا المجال ، وهذا الوعي كما يخيل الي هو الذي كان وراء قصة «الغبار» التي حاولت فيها ان تقدم نوعا عاديا من البشر ليس مصبوبا في قوالب متطلبات الاعوجاج النظري للصهيونية ، ولكن كتابا صهيونيين اكثر قربا من الاحداث من يائيل ، عاشوا فترة اطول منها في فلسطين قبل ١٩٤٨ واشتركوا في قتال ١٩٤٨ قدموا في السنوات القليلة الماضية نوعا من القصص القصيرة هو اقل فقدانا للموضوعية مما قدم اوريس بالطبع ، ومما قدمت دايان ايضا .

السؤال هو ، لماذا ؟

اغلب الظن ان هؤلاء القصاصين ، وخصوصا (بنيامين تموز) و(س. يزهار) ليس بمقدورهم موضوعيا ان يحملوا العرب جرائم هتلر ، كما حاول اوريس (ص ٢٨) ، وهم لا يواجهون ، على صعيد شخصي ، ضرورة تقديم مبرر للهجرة لانهم كانوا يعيشون في فلسطين قبل ١٩٤٨ ، وهم ، اغلب الظن والى حد بعيد قد مارسوا نوعا من العلاقة مع العرب في السنوات التي سبقت ١٩٤٨ سواء كانت علاقة قتال ام علاقة عادية، وقد شاركوا في الحرب وعاشوها واطلعوا من فوق ارضها الحقيقية على وقائعها ، وهم لا يواجهون بالحاح متطلبات الدعاية الخارجية كاوريس مثلا او كدايان التي تكتب بالانكليزية ، وقد شهدوا ولادة اسرائيل ، واحسوا ، اغلب الظن ، ان التصور النظري لحياة هذه الدولة ولمستقبلها لا ينطبق عمليا على الواقع ، وواجهوا داخل دولتهم الجديدة التناقضات التقليدية التي لم تستطع الصهيونية ان تتجنبها وفي احيان كثيرة زادتها .



لقد نشأ من كافة هذه الضغوط اضطرار الرضوخ الى الموضوعية اكثر مما تتطلب الظروف الاخرى من الصهاينة الاخرين ان يرضخوا .

ورغم ذلك، وكي لا يمضي بنا التصور الى مداه ، فان الاختلاف بين هؤلاء الكتاب وبين غيرهم هو اختلاف محدود ويبدو ان المشكلة الكبرى التي تواجههم في اعمالهم الادبية هي انهم لا يستطيعون ببساطة اوريس وبركما وغورن وفيرتل ان يخلعوا عن العرب حقهم في الارض ولا يستطيعون ان يسقطوا من تجاربهم اكثر من ربع قرن عاشوها شخصيا كاقلية فوق ارض كتبوا هم انفسهم عنها ، قبل ١٩٤٨ ، بصفتها ارض مضيفة ، كما انه من الممكن ان يرضى الواحد منهم ان يكتب عن العرب فيصفهم بالجبن ، وان يكتب عن بطولة اليهود الخارقة ولكن من الصعوبة حقا ان تقنع الكاتب منهم في اتجاه شعوري، بان عام ١٩٤٨ كان جدارا فصل المجرى المستمر من الزمن ، وان القصة انتهت هناك ، ذلك انهم يعرفون ، بحكم تجربتهم الشخصية والمباشرة والنصف الاول من هذا القرن ان القصة ، فعلا ، لم تنته .

وهذا ليس تخمينا ، بل هو شيء شديد الوضوح في قصة شجرة الزيتون التي كتبها بنيامين تموز ، اذا تجاوزنا الروح الاستعلائية التي يتحدث فيها عن القرويين العرب – ويبدو ان هذه العلة مستعصية على الشفاء – نستطيع ان نجد في قصته ملامح التحليل الذي توصلنا اليه قبل قليل .

في مكان ما من الجليل يملك علي الطويل الى جانب بيته حقلا من الزيتون ، تربض في وسطه شجرة زيتون ضخمة تعطي قدر ما يعطي الحقل كله ، من زيتها يدهن اجساد اطفاله حين يولدون ، يشرب في الصباح ، يزين طعامه ويداوي امراضه ويهدي اصدقاءه وحين اراد ان يزوج ابنته ، الى قروي عجوز ورفضت الشابة هذا الزواج الظالم ربطها الى جذع الزيتونة يومين وليلتين حتى رضخت ، ولكنها لم تضع حملها في القرية لان اليهود اضطروا اهلها الى النزوح .

المهاجر اليهودي الذي تسلم حقل الزيتون لا علاقة له بالزيت ، لا يحبه ويبصق حين يذوقه ولانه لا يستطيع ان يعصر الشجرة فقد بدأ يبيع اغصانها الى الذين يصنعون منها جمالا وحميرا ويبيعونها للسواح ولكن الشجرة ذاتها بدت ، اثناء ذلك ، وكانها تمد اغصانها العالية باتجاه الشمال ، كانها – يقول المؤلف – تنادي فتاة تنتظرها وراء الحدود .

واخيرا قطعت وزارة الزراعة الشجرة



يقول المؤلف في نهاية قصته : «واجب ان اوضح السببين اللذين اقنعا الوزارة بقطع الشجرة ، الاول ان سلالم قطف الزيتون التي تملكها الوزارة ، وهي ذات اطوال واحدة ، لا تستطيع ان تصل الى اغصان الشجرة العالية ، والثاني ان الشجرة جاءت ، بالمصادفة، وسط الالغام التي تسير فيها الجرار اثناء الحرث، وقد ذكرت هذين السببين كي لا يقال ان هناك سبب ثالث» .

ان الغمزة التي سجلها المؤلف في مقطع القصة الاخير واضحة ، وقد تكون اكثر من مجرد غمزة ، قد تكون طعنة ، وكذلك فان من الواضح انه استعان بالتحيز التقليدي في وصفه العابر لحياة القرويين العرب ، ولكن الواضح ايضا انه لا يستطيع ان يتحرك على هواه ، كما فعل اوريس ، بسبب قربه الشديد من الاحداث .

والقصة الثانية هي لـ س. يزهار واسمها «السجين» وهي محاولة لتصوير ما تردده الروايات عن البطولات اليهودية الخارقة تصويرا حقيقيا ، ولذلك فهو يروي كيف استطاعت فرقة من اليهود اعتقال راعي عربي وسرقة مواشيه ، ووصف في قصته وصفا دقيقا طريقة التنكيل اثناء التحقيق ، والنصف الاخير من القصة هو حوار ذاتي يناقش فيه العسكري اليهودي الذي كلف بنقل السجين مسافة طويلة في سيارة يناقش نفسه محاولا ان يقنعها باطلاق سراح السجين وتركه يعود الى زوجته ، والحوار بارع فنيا ، وموضوع على اسس عادلة ، ورغم ان منطق اطلاق السجين يفوز نظريا ، فان القصة تنتهي دون ان يقوم العسكري اليهودي فعلا باطلاق السجين .

ان المؤلف الذي لم يستطع ان يصور الراعي العربي الا وكانه بهلول ، وهي العلة نفسها التي اشرنا اليها مرات عديدة ، يحاول ان يخرج من النطاق الفولاذي الذي ضربه الكتاب الصهاينة حول انفسهم محاولا ان لا يقسم قصته الى بياض مطلق وسواد مطلق ، راغبا في تلمس لمحات انسانية تقرب عمله من الجدارة الفنية بكل متطلباتها .

على ان هناك قصة بارزة ثالثة لبنيامين تموز اسمها «السباق» ، وهي تحكي عن صديقين عربي ويهودي قبل ١٩٤٨ كانوا يتسابقون سباحة في نهر قرب يافا ، وكان العربي يفوز دائما وفي الحرب احتلت مجموعة من اليهود بيارة برتقال ، وفجاة يكتشف قائد المجموعة اليهودية ان قائد المجموعة العربية هو صديقه القديم ، ويبادره العربي قائلا وكانه يكمل حديثا : حسنا لقد فزت انت هذه المرة ! الا ان اليهودي يجيبه : «كلا ! ليس بوسعك قول هذا الا بعد خروجنا من الماء» ويبتسم العربي بأسى فيما يخلع اليهودي ملابسه وينزل الى النهر وهناك يسمع طلقة رصاص فينتابه شعور بان صديقه القديم قد قتل !

يخرج فورا فيجد صديقه ملقى على وجهه ويقول له الجندي اليهودي : «لقد قتل خطأ» وحين يقلب جسده يرى فوق شفتيه ابتسامة غامضة ، كانه هو الذي فاز في السباق فعلا !

ان الذي نريد التوصل اليه هو ما يلي : ان اخضاع الادباء الصهاينة المستلزمات الفنية لاعمالهم الادبية الى متطلبات الدعاية الصهيونية ، والى اسسها النظرية يوجه طعنة ليس الى المستوى الفني في العمل الادبي فقط ، ولكن الى قيمته الانسانية ، وبالتالي فان هذا ينتهي الى محاولات مذهلة للحديث عن ذلك المزيج المصطنع للدين والعرق بصورة ينطبع فيها العمل الادبي بطابعين اساسيين هما الشعور بالتفوق والاستعلاء والاصرار على احتقار كل ما هو غير يهودي .



وهذا لا يؤدي الى انتكاس فني فقط ولكن الى انتكاس خلقي ايضا ، وهذان النوعان من الانتكاس هما الصفة الغالبة ، موضوعيا، على الاعمال الادبية الصهيونية ، والتي حاولت تاريخ فترة الاربعينات والخمسينات بصورة خاصة

من هذا القانون العام تخرج ، الى حد ما ، الاعمال الادبية التي قام كتاب يهود اقرب الى ممارسة الاحداث وبالتالي اقل التزاما بالمتطلبات النظرية للصهيونية في محاولات لاعطاء اعمال جادة تتجنب ، في حدود معينة ، السقوط في شراك المزج بين العرق والدين والنتائج المترتبة على هذا المزج

الخطوة التالية في الاستنتاج ما يلي: ان الادباء الصهاينة الذين تقيدوا بالاسس النظرية للصهيونية دون تجارب فعلية وشخصية على ارض الواقع اختبروا ، في اعمالهم ، ان عام ١٩٤٨ كان جدارا انهى تاريخا وبدأ تاريخا جديدا ، وكي يتوصلوا الى هذا الهدف الصهيوني زوروا الواقع وملأوا تسجيلاتهم بالتناقضات واخضعوا الاحداث الموضوعية الى اوهام نظرية، في حين ان الذين اضطروا لممارسة التجربة ومواكبة الواقع ما زالوا عاجزين عن ايجاد اي نوع من التطابق بين هذا الواقع وبين الاوهام النظرية للصهيونية ولذلك فهم يستطيعون ان يصوروا شجرة الزيتون تمد فروعها العالية باتجاه الغائبين ، وحين يعجزون عن الاعتراف بما تعنيه هذه الحقيقة يقومون بنشر الشجرة ، وكذلك يستطيعون ان يعرفوا بانه لا يجوز لفرقة عسكرية كاملة ان تستعرض شراستها على راعي وان هذا الراعي يجب ان يعود لاهله ولفرسه وكي لا يقومون بالخطوة التالية يهونون القصة دون ان يقولوا ماذا حدث وماذا سيحدث ، وهم يعرفون بان السباق لم ينته في النهر الذي يواصل جريانه ، وكي لا تكمل القصة يجيزون لانفسهم اطلاق الرصاص خطأ على المتسابق الآخر .

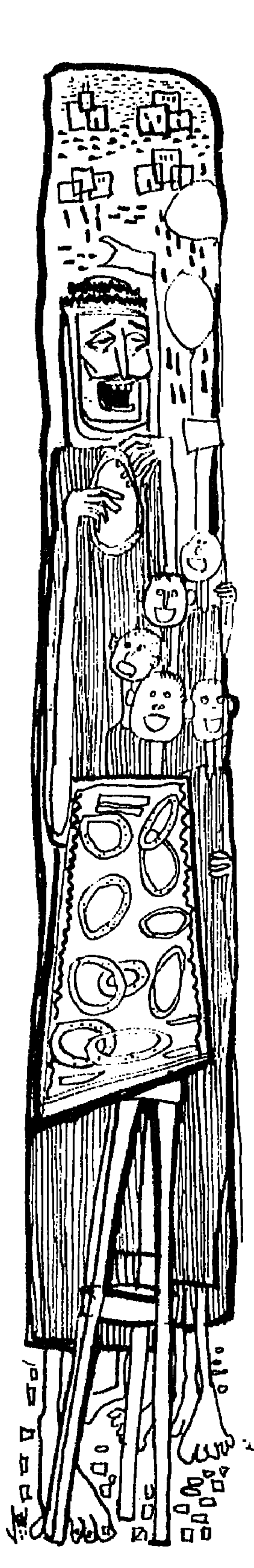
ان هذا القفز من محور الى آخر في القصة ، والتناقض في السياق بالرغم من المعطيات التاريخية التي يفترضها المؤلف ، ان هذا كله ناتج عن التناقض الاصلي القائم في الواقع الذي يعيشونه ، وفنيا ايضا هم لا يستطيعون اكمال قصصهم على محاورها الحقيقية ذلك ان القصة ليست قصة الراعي فقط ولكنها قصة المرعى، ليست قصة المتسابق الذي قتل قبل نهاية الشوط ولكنها قصة النهر . ليست قصة شجرة الزيتون الضخمة ولكن قصة صاحبها ابو علي الطويل وابنته وحفيده ، وليس يبدو ، موضوعيا وفنيا ، من هو مؤهل لاكمال القصة فوق محورها التاريخي الحقيقي الا هؤلاء .



الأغنية الصفراء

شعر
فوزي الاشمر

فوزي الاشمر شاب عربي من اللد ، في طليعة الشعراء العرب في فلسطين المحتلة ، كتب هذه القصيدة التي ننشرها منثورة فيما يلي حين شقت السلطات الاسرائيلية قناة اجتازت عددا من اراضي القرى العربية لتنفيذ مشروع مياهها المعروف ..



العيد عم القريه
والاطفال يلعبون بالمعربه
بائع الكعك يصيح سعيدا :
« كعك ! تعالوا ايها الصغار
كل كعكه بمعربه واحده »
والاطفال يردون :
بمعربه واحده ؟
اعطنا اذن كعكا !

* * *

اغنية تملأ القريه
اغنيه بيضاء في القريه
الشيخ ابو عليا سعيد
مثل نبته الشوخ
فالعيد قد اتى بعد الحصاد
وبعد ان جمعت الغله ..

* * *

الشيخ ابو عليا سعيد
بالثوب الاخضر الجديد
الذي اشتراه من المدينه امس
ودفع ثمنه نقدا ..
في يوم العيد سيقدمه لابنته عليا ..
التي تسقيني طربا ..

* * *

اغنيه تلف القريه بالملها
وجوه الناس سعيده
والحقول المحصوده تغني في شعاع الضوء ..
الدفلى تغني
اكوام القش تموج طربا
الابقار تنحني نحو العشب
الاغنام تثغو
الديوك تصيح جذلا
البط رف اجنحته سعيدا
والطحين نام في احضان السنابل ..

* * *

ولكن العيد ، الآن ، صامت تماما ..
فالدود يجتاح القريه
الحقول المزروعه خضراء
مثل بساط ناعم
احضان السنابل ملئيه
الدود يتحرك عبر الحقول
لم يبق سنبله قمح واحده
قطعت كل الزهور
وجفت البراعم ..

* * *

مات العيد ..
وتلاشت الاغنيه
وسوف لن يكون هناك اي عيد
في العام القادم ..
الاطفال لن يلعبوا بالمعارف
الامور ستصمت
بائع الكعك لن يصيح على كعكه
سوف لن يحضر الشيخ ثوبا جديدا
لابنته الحسناء ..

* * *

اغنيه اخرى تلف القريه
اغنيه صفراء حزينه ..
الدموع تسقط من العيون الصامته ..
تحولت الحقول الى خرباء
تغير لونها من الاخضر الى البني
الى الرمادي ..

* * *

الشيخ ابو عليا عبس ..
ليس لديه ثوب اخضر للعيد
انه يوم الحداد
وليس يوم الاعشاب ..

* * *

الفجر اسود
الشمس حجر اسود معلق في السماء
تحطمت الحقول تحت اسنان الآلات وحشية

* * *

الاطفال يبكون بضعف ..
اللاجئون يقفون ، عاجزين ..
ويبكون !

